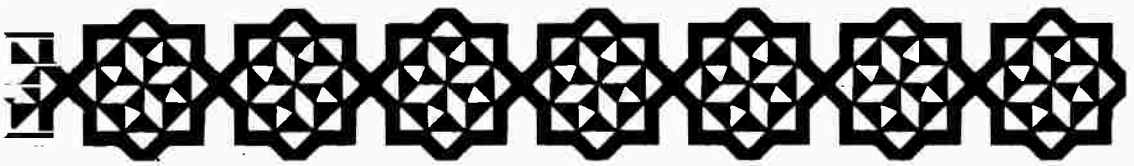

## الفصل الخامس

# الفتح الإسلامي للشمال الإفريقي والأندلسي

# الفتح الإسلامى للشمال الإفريقى

## — ١ —

كان الجيش الإسلامى قد تقدم بعد فتح مصر فى الشمال الإفريقى فاتحًا وناشرًا للإسلام وللغة العربية ، فلما انتهى الأمر لمعاوية بن أبى سفيان ، عزم على استئناف فتح المغرب واسترداد المدن التى استردها الرومان فى أثناء الفتنة ، وكان أن أعاد عمرو بن العاص على ولاية مصر ثانياً سنة ٣٨ هـ ( ٦٤٨ م ) فاستأنف عمرو فتوحه للمغرب ، ولكن شيخوخته وكثرة المشاكل التى واجهته فى أثناء قدومه إلى مصر حالت بينه وبين قيادة الجيوش ، فاكتفى بإرسال فرق من الفدائيين للإغارة والاستحواذ على الغنائم ، وبعث على رأس هؤلاء عقبة بن نافع ، فأمكنه أن يسترد بلدة غدامس فى سنة ٤٢ هـ . ثم توغل فى الصحراء التى تفصل تونس عن السودان ، فأخضع بعض القبائل ، وغنم غنائم تفوق الوصف ، عاد بعدها للإقامة ببرقة ، ولم يلبث عمرو بن العاص أن توفى فى سنة ٤٤ هجرية .

ولما علم معاوية بن أبى سفيان بوفاة عمرو كان أول ما أقدم عليه فصل ولاية إفريقية عن مصر ، ليكون للخليفة حق تعيين واليها من قبله ، لأنه لم يكن راضياً عن هذه السلطات الواسعة التى منحت حاكم مصر الحق المطلق فى تعيين والٍ لإفريقية وعزله . ومنذ ذلك الوقت أصبح المغرب ولاية مستقلة ، شأنها كشأن مصر ، وكان أول والٍ عينه عليها ابن أبى سفيان هو « معاوية بن خديج التجيبى » أحد كبار أنصاره ، ومن الذين مارسوا الحرب من قبل فى ميادين

المغرب ، ثم زوده بجيش بلغ عدده عشرة آلاف جندى ، من بينهم عبد الله بن عمر بن الخطاب ، وعبد الملك بن مروان ، وأمره بالزحف فورًا نحو المغرب .

وصل ابن خديج إلى مصر فى سنة ٤٥ هـ ( ٦٦٦ م ) ولم يشأ أن يضيع الوقت سُدًى ، بل أسرع بالزحف نحو برقة ، ثم خلفها متجهاً إلى مدينة قرطاجنة التى قيل له إن الأعداء قد تكتلوا فيها لمواجهته ، ولم يكد يحط رحاله فى سهل تونس فى مكان « قَمُونِيَة » جنوب قرطاجنة حتى جاءه الخبر بأن الروم قد لبسوا عدة الحروب استعدادًا للقتال ، فأسرع نحوهم ، ونشر مضاربه بالقرب من معسكرهم فى مكان يقال له « القرن » ، وبدأ المسلمون يبثون الذعر فى قلوب الروم بتكبيراتهم التى كانت تصم الأذان ، ويتردد صداها فى جوف الصحراء فتثير فيهم الرعب ، مما حطم أعصابهم ، وجعلهم يفرون نحو بلدة « سوسة » عندما شاهدوا الفرقة الاستطلاعية التى بعث بها ابن خديج بقيادة عبد الملك بن الزبير ، ولكن سرعان ما لحقهم ابن الزبير ، ودارت بينه وبينهم معارك خفيفة أقلعوا بعدها إلى جزيرة صقلية هاربين .

ودخل المسلمون مدينة سوسة مُهَلِّلين مُكبرين ، ومن هناك بعث ابن خديج بلواء من الفرسان لاحتلال بلدة جلولاء ، فاستولى عليها بعد حصار وقتال سرعان ماتلاشى أمام عزيمة المهاجمين ، على حين سار ابن خديج بنفسه نحو « بنزرت » فأمكنه احتلالها .

بعد هذه الانتصارات والمكاسب رجع ابن خديج إلى مكان القرن ليأخذ لجنده شيئا من راحة ، وحتى يوزع عليهم الفيء والغنائم ، ثم قام بحفر بعض الآبار لتوفير المياه اللازمة لجيشه ، وبعد أن فرغ من ذلك جاءه الخبر بتعيينه حاكماً على مصر ، فانصرف عن إفريقية بغنائم كثيرة ورقيق وأصنام منظومة بالجوهر ، ووصل إلى مصرفى عام ٤٧ هجرية بعد أن عين عقبة بن نافع خلفاً له ، وأوصاه باستئناف الفتح وإعلاء كلمة الله فى أرض المغرب .

ورأى عقبة بعد أن سلّم له ابن خديج مقاليد إفريقية أن يشرع فورًا فى تنفيذ وصيته ، ولذلك جهز جيشه للغزو ، وانطلق به فى خلال عام ٤٩ هجرية ( ٦٦٩ م ) يدك معاقل البيزنطيين ، واستطاع استرداد فزان وغدامس ، ثم انتقل إلى إقليم « قمونية » ليستعد للجولة الثانية ، وبينما هو آخذ فى الاستعداد وجد أنه من الأصوب أن يختط لنفسه خطة يسير عليها فى الغزو تمكن للمسلمين فى المغرب ، ولكيلا تكون غزواتهم بعد ذلك لمجرد جلب الغنائم والسبايا ثم العودة ثانياً إلى مصر ، بل لكى تكون هناك فتوح منظمة يستقرون بعدها فى البلاد ، وبذلك يستطيعون أن ينشروا الإسلام على أوسع نطاق ، لأنه كان رجلاً شديد الإيمان ، تميل نفسه لنشر الدين ، لامجرد الفتوح والانتصارات ، وما وراء ذلك من مكاسب وغنائم ، ولذلك عزم على أن يتخذ له قاعدة ارتكاز فى قلب البلاد ، يخرج منها المسلمون بحملاتهم ، ويتخذونها عاصمة لهم ومركزًا يمدهم دائماً بالإمدادات .

واختار عقبة بن نافع لإقامة هذه القاعدة قطعة من السهل الفسيح من إقليم قمونية جنوب قرطاجنة ، وهى تبعد عن مدينة تونس الحالية بحوالى مائة واثنى عشر ميلا ، وجمع أركان حربه وأطلعهم على ما استقر رأيه عليه ، ثم استطرد قائلا لهم : « وأرى لكم يامعشر المسلمين أن تتخذوا بها مدينة نجعل فيها عسكرًا ، وتكون عزًّا للإسلام إلى آخر الدهر » .

وكان اختيار عقبة لهذا المكان اختيارًا موفقاً من الناحيتين : الجغرافية والاستراتيجية ، فهو أولا بعيد عن الساحل ، لا يتعرض فيه المسلمون لتهديدات الأساطيل الرومية ، وثانياً يستطيعون منه مراقبة أعدائهم ، لأنه ملتقى للطرق المتجهة نحو الشرق والغرب والجنوب .

وبدأ عقبة فى بناء هذه المدينة التى عرفت فى التاريخ بمدينة القيروان فى عام ٤٩ هـ ، وانتهى من بنائها فى سنة ٥٢ هـ ( ٦٧٢ م ) وكانت تضم دار

الإمارة والمسجد الجامع ، وعلى مر الأيام عمرت بكثير من الدور والمساجد والمنشئات العسكرية ، واجتذبت المدينة عددًا كبيرًا من البربر ، فأعلنوا إسلامهم وكونوا جماعة إسلامية بربرية ظلت تنمو وتكبر حتى أصبح أفرادها ركناً حاسماً فى تحويل المغرب إلى الإسلام .

وكان عقبة فى أثناء قيامه ببناء القيروان لايفتأ يرسل الكتائب لإخضاع ماحوله من القبائل المتمردة ، وكان نتيجة لذلك أن بدأ الأهالى يشعرون بقوة المسلمين ، فأعلنوا إسلامهم ، وأخذوا ينتظمون فى جيوش المسلمين ، وأصبحوا لهم عونًا كبيرًا فى أثناء تمام فتحهم للمغرب .

وما كاد عقبة يفرغ من تنظيم مدينته وتجهيز جيشه حتى قرر فى أواخر عام ٥٥ هجرية ( ٦٧٤ م ) الخروج إلى الغزو الواسع الكبير ليدين المغرب كله للراية العربية الإسلامية ، وبينما كان يأخذ الأهبة لذلك إذ دخل عليه وهو فى المسجد الأعظم رسول من قبل الخليفة معاوية يبلغه عن خبر عزله عن الولاية ، وتعيين أبى المهاجر دينار خلفاً له ، وهو من موالى مسلمة بن مخلد الأنصارى حاكم مصر وقت ذاك ، نتيجة للوشايات التى أقدم عليها مسلمة الذى كان يُكِنُّ لعقبة شيئاً من الغيرة ، والذى كان يطمع فى ضم ولاية إفريقية لسيطرته لكثرة خيراتها[٩] .

وخرج عقبة من إفريقية بعد أن سلم مقاليد الولاية لأبى المهاجر ، الذى قيل إنه أهان عقبة بإيعاز من سيده مسلمة ، فلما وصل عقبة إلى دمشق شكا إلى معاوية مافعله معه خلفه وعاتبه على عزله قائلا له : « فتحت البلاد ودانت لى ، وبنيت المنازل ، واتخذت مسجدًا للجماعة ، وسكنت الناس ، ثم أرسلت عبدًا لأنصارى فأساء عزلى » .

وقد اعتذر له معاوية عن عزله ووعده برده إلى عمله .

ولكن عقبة ظل مقيماً بدمشق ينتظر أن يفى معاوية بوعده له ليرده ثانياً إلى ولاية إفريقية إلى أن مات معاوية وخلفه ابنه يزيد ، فعزل هذا أبا المهاجر « دينارًا » وأعاد عقبة على المغرب للمرة الثانية ، كما سنفصله فى حينه .

ولقد ذكرنا أن مسلمة نجح فى عزل عقبة وتعيين مولاه أبى المهاجر خلفاً له ، وكان أبو المهاجر من دهاة السياسة ، وهو فى الوقت نفسه محب للغزو ، فما كاد يطمئن على موقفه حتى عزم على الخروج إلى الحرب ومهاجمة القبائل المتمردة فى مواطنها الحصينة ، ورأى أن يصانع قبائل البرانس المتحضرة الموالين للروم ليضمهم تحت لوائه ، أو على الأقل ليضمن عدم انحيازهم لأعدائه ، وقد نجح فى ذلك نجاحاً كبيرًا ، فدخل فى طاعة المسلمين زعيم هؤلاء القبائل « كسيلة بن لزم الأوربى » وأعلن إسلامه هو ورجاله ، وانطلقوا جميعاً مع المسلمين لدك حصن الرومان ، حتى انتهى بهم المطاف فى مدينة تلمسان .

ثم عاد أبو المهاجر إلى القيروان ، وقام بمحاصرة قرطاجنة وهاجمها هجوماً شديدًا فى عام ٥٩ هـ ( ٦٧٨ م ) ولم يرجع عنها إلا بعد أن نزل له الروم عن شبه جزيرة الشريك التى جنوب المدينة ، فاحتلها العرب ، ومنها بدءوا يشنون الحملات على قرطاجنة للقضاء على الروم نهائيًا .

ودخلت سنة ٦٠ للهجرة وفى خلالها توفى الخليفة معاوية ، وظفر ابنه يزيد بالخلافة ، فكان أول ماعمله أن عزل أبا المهاجر دينارًا وأعاد عقبة بن نافع على الولاية للمرة الثانية .

ثم عادة عقبة إلى أرض المغرب وهو أشد تحمساً للفتح كما كان فى المرة الأولى ، فما إن تسلم الزمام من خصمه أبى المهاجر دينار [1] حتى جمع جيشه

(١) قيل إن عقبة قد أوثقه بالحديد كما فعل هو معه واصطحبه معه فى غزواته وهو مقيد .

وجهزه للغزو ، ثم اجتمع برؤساء الجنود وحضهم على الصبر فى القتال حتى تكون كلمة الله هى العليا ، وترفرف راية القومية فى أرجاء المغرب كله .

ثم انطلق بالمسلمين وبصحبتهم جموع بربر أوربة « البرانس » وزعيمهم « كسيلة » بعد أن ترك على القيروان « زهير بن قيس البلوى » . ومضى فى طريق الزحف كالسهم المنطلق إلى مرماه فى مضاء وتصميم ، وقصد للهدف لايحيد عنه ولا يريم ، وغزا بهم مدينة « باغاية » . وانساب بعدها نحو الزاب فى المغرب الأوسط ، ويبدوا أن عقبة قد أساء إلى بعض قبائل البرانس ، الأمر الذى أغضب زعيمهم كسيلة ، وكان نتيجة لذلك أن دب الخلاف بين عقبة وبين كسيلة ، فانسحب الأخير برجاله من صفوف المسلمين .

وسرعان ما انقلب عليهم وارتد عن الإسلام ، وانضم إليه جموع كثيرة من الروم ، وبدأ معهم يشنون على عقبة الغارات ويعترضون طريق زحفه .

ولكن عقبة تمكن من الانتصار عليهم ، وسار فى طريقه يغزو ويفتح الحصون حتى وصل إلى بلدة ( وليلى ) وهناك اعترضه كسيلة ثانياً ، فظل يطارده ، وفى أثناء ذلك سقطت فى يده مدينتا ( أغمات وتيس ) والأخيرة قرب دركالة ، ودخل فى طاعة المسلمين قبائل جزولة ومصمودة .

وأخيرا انتهى به المطاف عند مدينة « إيفيران يطوف » على شاطىء المحيط الأطلسى ، ثم قيل إنه اندفع بفرسه نحو الماء حتى وصل الماء إلى ركابه ورفع سيفه وقال مخاطباً الله عز وجل :

« اللّهُم فاشهد أنى لوكنت أعلم أن وراء هذا البحر أرضاً لخضته غازياً فى سبيلك » .

ثم التفت إلى رجاله وقال :

ارفعوا أيديكم ، ففعلوا ، واستأنف حديثه قائلا :

اللهم إنى لم أخرج بطرًا ولا أشرًا ، وإنك لتعلم أنَّا نطلب الذى طلبه عبدك ذو القرنين ،وهو أن تُعْبَدَ ولا يُشرك بك شيء . اللهم إنَّا معاندون لدين الكفر ومدافعون عن دين الإسلام ، فكن لنا ولا تكن علينا ياذا الجلال والإكرام .

ويطيب لنا أن نقف برهة عند هذه الكلمة التى ذكر فيها عقبة اسم ذى القرنين ، وهو الإسكندر الأكبر (١) ، والتى أشار فيها إلى أن دعوة الإسلام تشبه رسالة الإسكندر ، ذلك لأن الإسكندر أراد أن يجمع العالم فى أمة واحدة يسودها السلام ، إذ أن عقبة كان يفهم أن رسالة الإسلام لم تكن للإغارة والسلب ، وإنما هى رسالة سامية تهدف إلى عبادة الله دون سواه ، وعند ذلك يسود السلام بين الناس ، فلقد كان اختلاف العقائد ومازال سبباً فى اختلاف العقول ، وكثيرًا ماتطور هذا الخلاف فأشعل البغضاء وأوقد الحروب ، وماذكر الحروب الصليبية عنا ببعيد .

وبقرب الشاطئ رأى عقبة أن ينصب معسكره ليأخذ لجنده قسطاً من الراحة ، وحتى يعيد تنظيم صفوفهم استعدادًا لغزو الجنوب .

وبينما هو مشغول فى ذلك إذ سرعان ماتوقف وأمر الجيش بالعودة بسرعة نحو القيروان ، لأن أخبارًا قد بلغته أن كسيلة وجموع الروم يستعدون لضربه من الخلف .

وعبر بالجيش وادى أم ربيع فى طريق عودته مخترقاً أرض المغرب الأوسط ، ويبدو أنه أراد وهو فى طريقه أن يقضى على جيوب المقاومة التى أقامها كسيلة

---

(١) عند حضوره إلى مصر زار معبد الإله « آمون » بسيوة ، وكان هذا تمثله الفراعنة فى بعض الأحيان على هيئة كبش بقرون فأعلن الإسكندر أنه انحدر من صلبه فسمى « ذو القرنين » نسبة إلى آمون ذى القرون .

فى مختلف النواحى ، لذلك قسم الجيش قسمين : قسماً ذهب جنوبا بشرق ، والقسم الآخر ــ وكان عدده حوالى خمسة آلاف فارس ــ اتجه هو بهم نحو مدينة « تهودة » لغزوها لتكون قاعدة ارتكاز للمسلمين فى منطقة جبال الأوراس .

وبينما هو زاحف إليها فى خلال عام ٦٣ هجرية ( ٦٨٣ م ) اعترض طريقه كسيلة بخمسين ألف محارب ، ودارت بين الخصمين معركة غير متكافئة ، وأظهر عقبة بطولة منقطعة النظير ، ولما أدرك أن الدائرة ستدور عليه لكثرة مالدى عدوه من الجنود بعث فى طلب أبى المهاجر دينار وأمر بفك وثاقه وقال له : « انطلق بالمسلمين وقم بأمرهم وأنا أغتنم الشهادة » .

وسمع أبو المهاجر أمره ودعته نخوته العربية وحبه لنصرة الوحدانية أن يقاتل بجوار سجانه فى سبيل تحقيق الهدف ونشر العقيدة السمحة الكريمة ، ورد عليه قائلاً : أنا أيضاً أريد الشهادة .

وانطلق البطلان شاهرين السيوف ، وظلا يقاتلان جنباً إلى جنب حتى سقطا شهيدين وسيفاهما فى أيديهما .

ووقع خبر استشهاد عقبة فى القيروان وقوع الصواعق ، فقرر واليها فى الحال « زهير بن قيس » الانسحاب إلى برقة قبل أن يزحف إليه كسيلة ويقضى عليه .

وخلا الميدان لكسيلة فاحتل القيروان ، وهكذا أسفر ذلك الحادث عن ضياع تلك الانتصارات الجبارة بعد صراع دام أكثر من أربعين عاماً فى سبيل فتح المغرب ، ولكن بالرغم من ذلك فإن المسلمين لم يفقدوا كل شىء . فإنهم ــ وإن كانوا قد خسروا سياسيًّا ــ فقد كسبوا دينيًّا بما تركوه وراءهم من الآلاف المؤلفة من البربر الذين اعتنقوا الإسلام عن عقيدة راسخة ، والذين

لم يلبثوا أن ثاروا فى وجه كسيلة انتقاماً لمقتل عقبة ، وظلوا يناوئونه حتى دخل المسلمون ثانياً المغرب وساعدوهم ضده إلى أن قتل ، وذلك فى عهد الخليفة عبد الملك بن مروان كما هو مفصل بعد .

ومكث زهير مرابطاً فى برقة بعد استشهاد عقبة حوالى ستة أعوام حتى سنة ٦٩ هـ ( ٦٨٨ م ) خلالها مات الخليفة مروان بن الحكم ، وقام بالأمر بعده ابنه ( عبد الملك ) ، فظل زهير يستنجد به لإمداده بالجنود لمعاودة الغزو ، على الرغم من انهماك عبد الملك فى إخماد الثورات التى قامت فى العراق والحجاز ، فقد عز عليه ضياع المغرب من أيدى المسلمين ، وقرر إرسال نجدة كبيرة لزهير لانتزاعه ثانياً من كسيلة والروم ، وقال لصحابته : « لا يصلح للطلب بدم عقبة من الروم والبربر إلا زهير ، وهو مثله ديناً وعقلاً » .

فوافقوه على ذلك ، وأتبعوا موافقتهم قولهم : « إنه صاحب عقبة وأعلم الناس بسيرته وتدبيره ، وأولاهم بطلب دمه » .

ووصلت النجدة إلى برقة ، وبدأت فى الزحف إلى القيروان .

وفى موضع يقال له : « ممس » بين القيروان « وتبسا » التقى زهير بكسيلة ، ودار الصراع بينهما ، وكثر القتل بين الفريقين ، وظلوا كذلك حتى إذا بدأت الشمس فى الغروب نصر الله عباده المؤمنين ، وانهزم كسيلة ولحقه بعض المسلمين فى أثناء هروبه فقتلوه شر قتلة هو ورؤساء جنده وأشراف الروم ، وعاد زهير برجاله المنتصرين إلى القيروان محملاً بالغنائم والأسرى ، وبذلك انكسرت شوكة أهل البرانس ، وقضى المسلمون على مقاومتهم ، وانتقموا لمقتل البطل الشهيد عقبة بن نافع .

وبعد هذا النصر قرر زهير العودة إلى مصر ، وما كاد يصل إلى برقة حتى علم بغارات الروم عليها وسبى الكثير من أهلها ، فانطلق إلى الساحل طمعاً فى

أن يدرك الروم قبل إبحارهم إلى صقلية ويستخلص من أيديهم سبايا المسلمين وغنائمهم ، ودارت بينه وبين الروم معركة طاحنة انتهت باستشهاده رحمه الله . وهكذا اتضح للمسلمين أن الاستيلاء على المغرب كله لايتم إلا بالقضاء على الروم أولا .

## — ٢ —

مضى على استشهاد زهير نحو أربع سنوات توقف فيها غزو المغرب ، لشغل عبد الملك بن مروان بكثرة الخارجين عليه ، وعلى رأسهم عبد الله بن الزبير . فلما أعانه الله عليهم واتحدت الدولة الإسلامية على يديه ، كما سبق بيانه ، عزم على استئناف فتح المغرب فتحاً تامًّا ، ولذلك أعد جيشاً ضخماً بلغ تعداده كما يقولون أربعين ألف مقاتل ، وأمَّرَ عليهم القائد الشجاع « حسان بن النعمان الغسانى » وقال له : « اخرج إلى بلاد إفريقية على بركة الله وعونه » .

وخرج حسان بجيشه فى سنة ٧٤ هجرية الموافقة لسنة ٦٩٣ م قاصدًا مدينة قرطاجنة مركز تجمع الروم وقاعدتهم البحرية الكبرى ، وانضم إليه كثير من البربر الموالين للإسلام والمعتنقين له ، فكانوا عدة له ، فدخل بهم مدينة القيروان دخول الفاتحين .

ولما أراح الجنود وجهزهم للزحف العام انطلق بهم إلى قرطاجنة فحاصرها حصارًا شديدًا ، وقاتل الروم بعناد حتى نال منهم كل منال ، ومن نجا من القتل منه ركب البحر هرباً إلى صقلية ، ودخل حسان قرطاجنة فقتل وسبى أهلها ، ثم أمر بتخريبها وتدميرها حتى لا تكون حصناً بعد ذلك فخربت عن آخرها .

وتم فى أعقاب ذلك غزو معقلين للروم على ساحل البحر المتوسط وهما « بنزرت ، وسطفورة » . ثم مدينة « باجة » . وعاد حسان بعد ذلك إلى القيروان ليتفرغ لتنظيم شئون البلاد التى فتحها ، وماكاد يأخذ الأهبة لتنفيذ ذلك حتى واجه ثورة جامحة تزعمتها امرأة شديدة المراس هى الكاهنة « داهيا بنت ماتيه بن تيغان » ملكة جبل أوراس ، وقبيلتها تنتسب إلى قبائل جراوة ،

أشد قبائل البتر قسوة وجرأة ، وقد التفّ حولها ألوف من البربر بعد مقتل زعيمهم كسيلة ، وقد انتشرت حول هذه المرأة معجزات خرافية ، جعلت الكثير من البربر ينضمون إليها ويأتمرون بأمرها ، وانطلقوا خلفها يعاودون حياتهم الهمجية الأولى فى السطو والنهب .

وأمام هذا رأى حسان أن يزحف إلى مقر هذه المرأة لكسر شوكتها قبل أن يستفحل أمرها ، وقال له زعماء المسلمين من البربر :

« إنْ قتلتها لن تختلف عليك البربر بعد ذلك » فسار إليها ، فلما بلغها زحفه قامت بهدم حصن « باغاية » ظنًّا منها أنه يريد الاستيلاء على الحصون ، ولكنَّ « حساناً » خيب ظنها وانطلق إليها فى مكمنها ، وبالقرب من موضع قسنطينة الحالية اقتتل معها فى معركة حامية دارت الدائرة فيها على المسلمين ، وأسر جماعة كثيرة منهم ــ أطلقتهم الكاهنة بعد ذلك ــ سوى خالد بن يزيد القيسى ، وكان شريفاً شجاعاً فاتخذته الكاهنة ولدًا .

وأمام ذلك تراجع حسان إلى الوراء سريعًا حتى لا يقطع عليه أنصار المرأة خط الرجعة ، ثم أخلى مدينة القيروان وانسحب إلى برقة ، وهكذا انحسر الإسلام مرة أخرى عن تونس وما جاورها من بلاد الأطلس .

وبينما كان حسان مقيماً فى برقة وطرابلس يقضى وقته فى بناء المنازل لجنده وهى المنازل التى سُميت بعد ذلك بقصر حسان ، كان الروم قد احتلوا مدينة قرطاجنة ، والكاهنة من جانبها تقوم بهدم الحصون والمدن ليقينها بأنها السبب الذى يدفع العرب لغزو المغرب ، وقالت فى تبرير ذلك : « يريد العرب البلاد والذهب والفضة . ونحن إنما نريد المزارع والمراعى ، ولا أرى إلا أن أخرب إفريقية حتى ييئسوا منها » ، وقد كان هذا سبباً جعل السكان ينفضون من حولها ، وتمنوا حكم العرب الذى يتميز بالعدل وسيادة القانون والنظام ، ولا يبلغ بقادته المسلمين من العسف مايبلغ بهذه الحاكمة الطاغية .

ومضى على تلك الأحداث نحو أربع سنوات ، كان حسان خلالها يلح على الخليفة فى إرسال مدد إليه ، ويستحثه بقوله : « إن أُمَم المغرب ليس لها غاية ، ولا يقف أحد منها على نهاية ، كلما بادت أمة خلفتها أمم » .

واستجاب الخليفة لتوسلات حسان فبعث له المدد والأموال ، فاكتمل لحسان جيش كبير ، فقرر فى الحال الزحف لمقاتلة هذه المرأة ثانياً ، فإمّا نصر نهائى ، وإمّا استشهاد فى سبيل الله .

وانطلق حسان بالمسلمين من برقة فى خلال عام ٨١ من الهجرة ( ٧٠١ م ) واجتاح المناطق فى سهولة ويسر ، وقابله أهل البلاد بالترحيب وقدموا له الطاعة ، لأنهم كانوا راغبين عن حكم الكاهنة التى أنزلت بمدنهم الخراب والدمار .

وفى أثناء عبور حسان لمنطقة جبل أوراس وجد نفسه فجأة أمام جيوش عدوته ، فالتحم معها فى صراع مرير ، وصمدت له ، وجرت الدماء أنهارًا ، وخُيل للناس أن القيامة قد قامت ، ولما أدركت الكاهنة أن هزيمتها محتومة « بعثت بولديها ليستأمنا حساناً ، فأَمَّنَهُمَا » . وقيل إنه ولى كُلًّا منهما على ستة آلاف مِمَّنِ استأمن من البربر والأفارقة ، على حين أنها ظلت تواصل القتال لحماية مؤخرتها لتتمكن من الهروب إلى الجبل ، ولكن حساناً أفسد عليها خطتها حين التقى بها عند « بئر الكاهنة » وشاء الله ألّا يخذل حساناً وجنوده فى هذه المرة فانتصروا عليها وقتلوها ، وبقتلها انتهت كل مقاومة للبربر ، وكانت هذه آخر ثورة لهم ضد المسلمين ، بعدها أخذوا يدخلون فى دين الإسلام أفواجاً وجماعات ، وينتظمون فى صفوف إخوانهم العرب المسلمين .

كان الروم خلال هذا الصراع قد استطاعوا بقيادة البطريق يوحنا احتلال قرطاجنة كما أسلفنا ، فلما فرغ حسان من أمر الكاهنة اتجه إليهم يؤازره أسطول

بحرى قدم من الشام ومصر لمساعدته ، وحمل عليهم فى البر والبحر حتى طردهم من قرطاجنة ، وكانت هذه آخر مرة يرون فيها المدينة ، وبذلك قضى حسان على أكبر القوى الضاربة للرومان ، فما عادوا بعدها فى المغرب يشكلون خطرًا داهماً ، ولا أصبح لهم قوة عسكرية مدمرة .

ثم اتجه حسان بعد ذلك إلى تنظيم البلاد على نحو ما هو قائم فى مصر والشام ، وفى ذلك يقول المؤرخ ابن عذارى :

« وفى هذه السنة ( ٨٢ هـ ) استقامت بلاد إفريقية لحسان بن النعمان ، فدَوَّن الدواوين وصالح على الخراج وكتبه على عجم إفريقية وعلى من أقام معهم على دين النصرانية » .

ثم قام ببناء مدينة تونس ومسجدها ، وكانت لاتعدو بلدًا أو قرية صغيرة ، وقام بتحصينها حتى لا يفاجئه الروم من البحر ، وهى فى الوقت نفسه تشرف على قرطاجنة ، وأخذ يوجه جهوده نحو القيروان ، فوسع فيها وجدد بناء المسجد الجامع ، وانتهى من إنشاءاته فى سنة ٨٤ هجرية الموافقة لسنة ٧٠٣ ميلادية ، وكان أهم عمل له فى إفريقية بعد ذلك هو سعيه المتواصل لنشر الإسلام وتأليف القلوب ، كما أشرك معه البربر فى حروبه التى وصل فيها إلى طنجة ، وجعل لهم نصيباً من الغنائم ، ورتب لهم العطايا ، مثلهم مثل إخوانهم العرب ، وبذلك حبب البربر فى الإسلام ، وخطا الألوف منهم نحو خير الوحدانية ، فعزتهم بعد ذلة ، وجمعتهم بعد فرقة ، وهدتهم بعد ضلالة ، وأصبحوا بعد أن حاربوا الإسلام جنودًا له ، مؤمنين بعدله ، مطبقين تعاليمه ، مستضيئين بنوره : « قد جاءكم من الله نورٌ وكتابٌ مبين* يهدِى به الله من اتبع رضوانه سُبُل السلام ويُخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم » (١) .

---

(١) سورة المائدة ، الآيتان ١٥ ، ١٦ .

وهكذا استطاع حسان أن يحول بلاد المغرب كلها إلى ولاية إسلامية قلباً وقالباً ، وأصبحت كلمة المغرب الإسلامى تدوى فى أسماع العالمين .

تم ذلك كله فى عهد هذا القائد العربى العظيم الذى لم يقدر لسياسته هذه أن تطول ، إذ أن عبد العزيز بن مروان ( صاحب مصر ) قام بعزله ، وقيل : إن نزاعاً حدث بينهما ، فأخذ عبد العزيز يضيق عليه الخناق ويحد من سلطته ونشاطه فى المغرب ، فلم يجد حسان بُدًّا من اعتزال منصبه والرحيل إلى دمشق ، تاركاً أمر المغرب لموسى بن نصير [1] .

---

(١) راجع عنه : البلاذرى ، فتوح البلدان ص ٢٥٦ ــ ٢٥٧ ، والطبرى جـ ٤ ص ٢٢ ، وابن خلكان ( وفيات الأعيان ) جـ ٢ ص ١٧٦ .

## — ٣ —

وغادر موسى بن نصير مصر على رأس قوة ضاربة متجهاً إلى المغرب ليتولى أمره ، ويثبت دعائم الإسلام فيه ، وينشره بين بقايا العناصر البربرية والرومانية المتمردة التى ما فتئت تناوئ المسلمين وتشن عليهم حرب العصابات .

وما إن وصل مدينة القيروان بصحبة أولاده « عبد الله ، وعبد العزيز ، ومروان » وأولاد الشهيد عقبة بن نافع « عياض ، وعثمان ، وأبى عبيدة » حتى اتخذ لنفسه خطة يسير عليها فى غزواته تضمن له النصر فى زمن قليل ، وهى أن ينشر أجنحته فى جميع أنحاء المغرب ، وبخاصة فى أقاليمه الشمالية ، ليأخذ البيعة من جميع أهله فى وقت واحد .

وكانت أولى ضرباته متجهة إلى المتمردين فى قلعة « زغوان » القريبة من القيروان ، فبعث إليهم بفرقة من خمسمائة فارس أمكنهم أن يضربوهم الضربة القاضية ، ويأخذوا البيعة ممن استسلم منهم .

ثم بدأ موسى بعد ذلك فى تنفيذ خطته ، فقسم الجيش إلى عدة أقسام :

**القسم الأول** : قاده ابنه عبد الله بن موسى ، وانطلق به إلى أماكن العُصاة حول تونس ، فأخضعهم وسبى منهم سبياً عظيماً .

**القسم الثانى** : بعث على رأسه ابنه مروان بن موسى ، وزحف به نحو الأماكن القريبة من الساحل ، فانتصر على فلول الروم وأنصارهم من البربر وغنم غنائم هائلة .

**القسم الثالث** : عين عليه موسى أولاد الشهيد عقبة ، ووجههم إلى مدينة سجوما للانتقام من رجال القبائل الذين اشتركوا فى هزيمة والدهم ومقتله ، وقد حالفهم التوفيق فأثخنوهم بالطعنات ، ولم يتركوهم إلا بعد أن أفنوهم جميعاً ، وعلى رأسهم « ستمائة » رجل هم قادة أمرهم .

**القسم الرابع** : توجه به موسى بصحبة كبار القواد عياش بن أخيل والمغيرة ابن أبى بردة وزرعة بن أبى مدرك ، وظل يذرع به أماكن الثائرين شمالاً وغرباً وجنوباً ، حتى استطاع أن يقضى على بقايا الحاميات الرومية وأنصارها ، وكان قضاؤه شديدًا مروعاً ، فلاقى بعض العصاة من قبائل هوادة وزناتة وكتامة وصنهاجة وغيرهم من ثوار البتر والبرانس على يديه أشد أنواع التنكيل ، مما جعل السكان يتسابقون فى الخضوع له ، ويهرعون إليه معلنين إسلامهم ليأخذوا مكانهم فى جيوش الغزو ، لينالوا الغنائم وثواب الله على إعلاء كلمته وتثبيت وحدانيته .

ولم يفت موسى فى أثناء ذلك أن يبعث ببعض الغنائم النفيسة والسبايا الجميلات إلى مولاه عبد العزيز بمصر ، ثم للخليفة عبد الملك ، ويقول المؤرخ الدينورى فى ذلك : « وأهديت لعبد الملك جارية إفريقية أهداها إليه موسى بن نصير عامله على أرض المغرب ، وكانت من أجمل نساء دهرها ، وكانت أثيرة لدى عبد الملك » .

وهكذا نجح موسى بن نصير فى إرضاء الخليفة ، فزال بذلك ماكان يحمله له من أحقاد .

اجتمع لموسى بن نصير بعد تلك الانتصارات آلاف من فرسان البربر الشجعان انضموا إليه عن طواعية ، وكان منهم فارس مؤمن صادق الإيمان ذلك هو طارق بن زياد الليثى ، الذى أظهر من الإخلاص لدعوة الإسلام

ما استرعى انتباه موسى بن نصير فقربه إليه ، وقدمه على من عداه من كبار القواد ، وقد اختلف الرواة فى نسب طارق ، فالأكثرون يقولون ، إنه بربرى ، وإنه مولى موسى بن نصير ، وقال آخرون : إنه فارسى ، والواقع أن أمر طارق لا يحتمل خلافاً ، فهو بربرى انحدر من أصلاب قبيلة عربية اختلطت دماؤها بدماء الوندال الذين سكنوا المغرب فى عام ٤٢٩ بعد مولد المسيح .

وقد كان طارق أبيض الوجه أشقر الشعر ، أزرق العينين ، حتى إن بعض المؤرخين المحدثين يعدونه جرمانى الأصل أكثر منه إفريقيًّا .

كان لابد لموسى وقد اجتمع له هذا الجيش البربرى الجرار الذى بلغ عدده حوالى اثنى عشر ألف فارس ، جمعتهم مع العرب صفات البداوة والطرة وحب الغزو فى سبيل الله أن يفتح لهم مجالاً للغزو وإلا أفلت منه زمامهم ، لذلك ما كاد ينتهى من تدبير شئون المدن التى طهرها من المتمردين حتى سرعان ماقادهم جميعاً بصحبة جيشه العربى البالغ « سبعة عشر ألفاً » إلى ميادين المغرب الأقصى لإخضاع الثائرين وإعادة الأمن إلى نصابه فى تلك الجهات .

وظل ممعناً فى زحفه يضرب ذات اليمين وذات الشمال لاتصده حصون ولاتقف فى سبيله عقبة حتى اجتاز نهر درعة لأول مرة فى تاريخ الفتح العربى لإفريقية ، وبلغت جيوشه السوس الأقصى فى تلك البقعة التى لم يصل إليها أى فاتح أجنبى غيره .

وبعد أن أخذ موسى الطاعة من الأهالى استأنف زحفه الخاطف نحو المدن التى على شاطئ المحيط الأطلسى ، واتجه إلى طنجة ــ وهى فى ذلك الوقت أعظم بلاد المغرب حضارة ــ فبلغها فى خلال عام ٨٩ للهجرة ( ٧٠٧ م ) فوجدها حصينة قوية ففرض عليها الحصار ، وكان الحصار شديدًا جعل حاكمها البيزنطى « أخيلا » يهرع إلى موسى معلناً خضوعه ، وقيل : إنه اعتنق الإسلام لينقذ أهله من السبى .

نصر ما بعده نصر لم يقنع به الفاتح الكبير ، بل انطلق ثانياً كالريح نحو حص ( سبتة ) الرومانى ليأخذ الطاعة من حُماته فاستعصى عليه ، كما استعصى على عقبة بن نافع من قبل ، فحاصره ، وكان حاكمه يدعى الكونت جوليان أويليان النصرانى كما سماه العرب ، وكان تابعاً بالاسم لبيزنطة ، ولما بدأ العرب فى غزو المغرب وقضوا على قوة بيزنطة العسكرية فى مختلف الميادين اتجه يليان إلى ملوك أسبانيا ليحموه من خطر الغزو الإسلامى ، فكانوا يمدونه بالعون عن طريق البحر ، وقيل : إنه كان يمت بصلة النسب للملك غيطشة ملك أسبانيا فى ذلك الوقت .

ولما طال الحصار حول الحصن وعجز موسى عن فتحه رأى أن يتركه ويرجع إلى طنجة حتى يؤمن الطريق خلف المسلمين ، ومن هناك أخذ يشن عليه الحملات ، ولكنه لم يستطع أن ينال منه وطرًا ، نظرًا لما كان يأتى يليان من المدد الأسبانى .

وأخيرًا قرر موسى الرجوع إلى القيروان التى طال غيابه عنها تاركاً القائد الشجاع طارق بن زياد على طنجة ومعه « تسعة عشر ألفاً » من فرسان البربر والمسلمين ، وقلة من فقهاء العرب ليعلموهم فرائض الدين وأصوله ، وعهد إليه بالعمل على إخضاع قبائل غمازة وبراغوطة القاطنة حول طنجة ، ثم كلفه مراقبة « سبتة » وانتهاز الفرص لغزوها وتحطيم شوكتها .

غادر موسى طنجة واتجه إلى القيروان حاضرة المغرب الإسلامى لتدبير أمر المدن المفتوحة ، ونشر الدين بين القبائل والأجناس ، ونجح فى ذلك نجاحاً كبيرًا ، واستطاع بما له من دراية واسعة فى قيادة الجماهير ، ونباهة فى إدارة السلطنة ــ كما يذكر المقرى ــ أن يمزج الأجناس بعضها ببعض ، وأحسن المعالمة ، وطبق حكم المساواة لافَضْلَ لأحد على آخر إلا بالتفانى فى الجهاد فى سبيل الله وإعلاء وحدانيته وإقامة الحدود ، فرغب الناس فى الإسلام واستجابوا

لندائه الذى يقرع الأسماع على اختلاف عقائدها ، ويدعو إلى الصلاة ، فكأنما كان هذا النداء وهذا الأذان فيضاً عجيباً من الله تفتحت به أسماع أهل المغرب وتطهرت أرواحهم ، واستجابت نفوسهم لدعوة الحق والإيمان ، الدعوة التى تؤلف ولا تمزق ، وتوحد ولا تفرق ، وتصلح فى الأرض ، لا لتفسد بين الناس ، وقد صنعت هذه الدعوى فى القلوب فوق مايصنع السحر ، فتدفق سيل الداخلين فى الإسلام من أهل المغرب منبهرين بتعاليمه السمحة وصفحه الجميل وعفوه السابغ .

وبهذا أخذت اللغة والثقافة العربية تنتشر بسرعة ، وأصبح الفتح الإسلامى للمغرب فتحاً عسكريًّا ومعنويًّا فى آن واحد ، إذ ضمن انتقال شعب البربر من حكم الروم المستعمرين إلى حكم إخوانهم العرب المسلمين ، ومن ديانة الشرك والتثليث إلى ديانة الإسلام والتوحيد ، حتى أصبح المغرب بمثابة الجناح الغربى للأمة العربية الإسلامية التى تمتد حدودها من الخليج إلى المحيط .

— ٤ —

وبينما كان موسى بن نصير يبعث الكتائب بصحبة الفقهاء إلى مختلف أماكن القبائل القاطنة فى جوف البلاد ليأخذوا البيعة منهم ويفقهوهم فى الدين الجديد كان طارق بن زياد قد حاول مرارًا غزو سبتة ولكنه لم يستطع ، وقد رأى حاكمها يليان من محاولات طارق المتكررة على مهاجمته أنه واقع فى يده فى يوم ما ، نظرًا لما يتجمع لطارق كل يوم من الرجال الذين يهرعون إليه للانضواء تحت لوائه ، فعزم على مصانعة « طارق » والدخول معه فى الصلح ليأمن شره ، وكان أن اتصلت بينهما الأسباب ، ونجحت مفاوضات الصلح بينهما .

ولسنا نعلم شيئاً عن الأساس الذى قام السلام عليه بين الجانبين ، وكل ما نعرفه أن طارقاً حاول الاستيلاء على سبتة فلم يستطع فاكتفى بمودة صاحبها ، عسى أن يستعين به على إخضاع من هم تحت سلطانه من البربر وهم كثيرون .

وكان طارق سياسيا بارعاً ، فبادل يليان ودًّا بودٍّ ، وفى هذه الأثناء مات « غيطشة » ملك أسبانيا والعون الأكبر ليليان فى الدفاع عن مدينته ، واغتصب عرشه القائد القوطى « رودريجو » أو لذريق كما سماه العرب ، وشتت شمل ورثته الشرعيين « أولاد غيطشة » ، وتنفيذًا لما كان بين غيطشة ويليان من عهد أراد الأخير مساعدة أولاد حليفه ليجلسوا على عرش أبيهم ولكنه عجز عن ذلك ، فوقف فى مدينته « سبتة » يرقب الأحداث ، وكان لايفتأ يدبر المؤامرات لخلع لذريق .

وفى أثناء ذلك جاءه الخبر بأن ابنته « فلورندا » أو « كافا » كما عرفها العرب التى كانت تعيش فى قصر أسبانيا لتتأدب بآداب الملوك كما جرت بذلك العادة

وقتئذ ، وهى قيام أمراء الأقاليم وخلفاء الملوك بإرسال بناتهم وأولادهم إلى بلاط الملك بطليطلة لهذا الغرض ـــ قد اغتصبها الإمبراطور « لذريق » وأهدر شرفها ، فعزم يليان على الانتقام منه بأى ثمن ، حتى لوكان فى ذلك تحريض المسلمين على غزو أسبانيا النصرانية ومساعدتهم ، وقد آثر أن يكتم هذا فى نفسه حتى يسترد ابنته ، وقال فى ذلك لأهله ـــ فى رواية المؤرخ ابن عبد الحكم : « لا أرى له عقوبة إلا أن أُدْخِلَ عليه العرب » .. وبعث لطارق سرًّا بهذا الخصوص قائلاً : « إنى مُدخلك الأندلس » .

وكان أن غادر مدينته وعبر البوغاز إلى أسبانيا وذهب لمقابلة لذريق .

وذكر أن لذريق استغرب حضوره فى هذا الوقت « وقت الشتاء » ، فتعلل يليان بقصة ابتكرها من وحى خياله ، وهى أنه لم يحضر إلا تحت إلحاح زوجته المريضة التى أوشكت أن تموت وتتلهف على رؤية ابنتها قبل أن يدركها الموت ، ورجاه أن يأذن لابنته بالرحيل معه لزيارة أمها المريضة ، فتأثر لذريق ووافق على سفرها معه بعد أن منحها هداياه الملكية ، وأخذ عليها العهد بكتمان أمره معها ، كما أنعم على والدها بفيض من بره وعطاياه .

وانقلب يليان راجعاً بصحبة ابنته ، وعندما ودع لذريق يليان قال له ما معناه :

إذا قدمت علينا ثانياً فتخير لنا من الشذانقات « نوع من طيور الصيد » التى لم تزل تطرفنا بها ، فإنها آثر جوارحنا لدينا . فأجابه يليان :

« أيها الملك وحق المسيح لئن بقيت لأُدخلن عليك شذانقات مادخل عليك مثلها قط » .

وكان يضمر بهذا ما استقر رأيه عليه من مساعدة المسلمين لغزو أسبانيا لخلعه انتقاماً منه وتشفيًّا فيه .

وهنا يغلب علينا الظن أن السلام الذى قام بين يليان وطارق كان من ضمن دوافعه تلك الحادثة التى وقعت قبل اتصال الرجلين أحدهما بالآخر ، تلك التى دفعت يليان عند وصوله إلى « سبتة » مع ابنته بأن يبعث لطارق ويحضه على فتح الأندلس واعدًا إياه بالمساعدة وتقديم السفن اللازمة لنقل جنوده إلى الشاطىء الآخر على ألّا يتعرض للإغارة على حصنه ويتركه لشأنه سيدًا عليه ، وقبل طارق العرض ، وبدأ يعمل له كما هو موضح بعد . ووصل يليان إلى حصنه « سبتة » وتقابل مع رسل أولاد « غيطشة » وعرض عليهم مانواه للإمبراطور لذريق فوافقوا على ما أضمر ونوى ، وفوضوا له العمل آملين أن يكون فى ذلك فاتحة خير لإعادة العرش المغتصب إلى ورثته الشرعيين « أولاد غيطشة » .

وذهب « أخيلا » حاكم طنجة السابق الذى دخل فى ذمة المسلمين يبلغ طارقاً ما اتفق عليه المتآمرون من دعوته لغزو الأندلس ، وأن أعوانهم بالشاطىء الآخر منتظرون عبوره لمعاونته ، وأنهم اتفقوا على الغدر بلذريق يوم المعركة الفاصلة بينه وبين المسلمين .

ووافقهم طارق على ذلك ، وعاد أخيلا يبلغ يليان موافقته ، فعزم يليان على مقابلة طارق والاتفاق معه على خطة الغزو ، وانطلق إليه وهو واثق من نجاح مؤامرته ضد لذريق ، خصوصاً أن الأخبار قد وصلته قبل مغادرة سبتة بأن لذريق قد ذهب إلى إقليم « بنبلونة » فى أقصى الشمال لإخضاع أنصار أولاد « غيطشة » الذين لم يُغْمَد لهم سيف منذ أن اغتصب لذريق العرش من أصحابه ، وكان اللقاء بين الرجلين يبشر بالنجاح ، فسرعان ما اتفقا على العمل معاً .

واستقر الرأى على أن يذهب يليان إلى موسى بن نصير لعرض الأمر عليه وأخذ موافقته .

ومضى يليان من فوره ووصل القيروان فى خلال عام ٩٠ للهجرة الموافق لعام ٧٠٨ الميلادى ، وأخذ يحبب موسى فى فتح الأندلس ويسهل له كل صعب ، ويصف له محاسنها وما تحويه من الخيرات والكنوز ، ويكشف له مواضع الضعف فى حصونها ، وقد عاهده على الانضمام بجانبه مع جميع ما يلزمه من العدد والعتاد حتى يعبر العرب إلى الضفة الأخرى .

ورضى موسى ، ولكنه أراد أن يقف على مدى إخلاص يليان لهذا العرض فابتدره قائلاً :

« ومن أين لى أنْ أتيقن صدق نياتك » ؟

فقال يليان :

« كلفنى شيئاً أثبت لكم فيه ــ معشر العرب ــ أننى صادق فيما عرضت » .

فطلب منه موسى أن يقوم بغارة على شواطىء الأندلس ليكون ذلك بمثابة إعلان الحرب على لذريق من ناحيته .

ونفذ يليان الأمر وقام رجاله بغارة خاطفة على أسبانيا عادوا بعدها محملين بكثير من الغنائم ، الأمر الذى طمأن موسى وشجعه على الإقدام على الفتح .

وكان لابد لموسى بن نصير أن يبعث للخليفة « الوليد بن عبد الملك » وقتئذ يعرض عليه الأمر ويستأذنه فى الغزو ، فرد عليه الوليد بقوله :

« خضها ــ أولا ــ بالسرايا « يعنى بقلة من الجنود » حتى ترى وتختبر شأنها ، ولا تغرر بالمسلمين فى بحر شديد الأهوال » .

ورد عليه موسى يقول :

« إنه ليس ببحر زخار ، وإنما هو زقاق يستبين للناظر ما وراءه » .

فنصحه الخليفة ثانياً : بأن يكتشفها بنفر قليل من الفرسان قبل مغامرته بجيشه الكبير .

وأخذ موسى بن نصير يستعد لإرسال فرقة صغيرة من الجنود كأمر الخليفة لاستطلاع أحوال الأندلس ، وبعث يخبر يليان بالأمر ، فأظهر هذا فرحه ووضع سفنه الأربع على استعداد لنقل المسلمين ومساعدتهم فى العودة ثانياً .

واختار موسى بن نصير للقيام بهذه المغامرة واكتشاف الأندلس أحد قواد العرب المشهورين بالإقدام هو « أبو زرعة طريف بن ملوك المعافرى » وزوده بكتيبة من الفرسان عددها أربعمائة فارس ، سار بهم إلى « سبتة » ، وهناك وجدوا فى انتظارهم يليان ، فأركبهم السفن مع نفر من رجاله ، واجتازت بهم مضيق جبل كالبى « جبل طارق بعد ذلك » ثم نزلوا فى جزيرة « بالوماس » على مقربة من الموضع الذى أنشئت فيه بعد ذلك بلدة « طريف » والتى تسمى اليوم « رأس طريف » وقد كان فى استقبالهم أعوان يليان وأولاد غيطشة لمعاونتهم وحراسة مؤخرتهم ، وكان ذلك فى شهر رمضان سنة ٩٣ هجرية ( يوليو سنة ٧١٠ م ) .

وانطلق الفرسان العرب يجوبون الشاطئ الجنوبى للأندلس ويستولون على كل ماصادفهم من كنوز الأرض وفتياتها الحسان ، بدون أن يجدوا أمامهم مايصدهم أو يعرقل سير غزوتهم الصغرى .

وعاد الجنود سالمين ، وبعث « طريف » إلى موسى بنتائج مغامرته ونصيبه من الغنائم التى كانت فريدة فى نوعها ، والتى جعلت موسى يصر على امتلاك الأندلس مهما كان الثمن ، واستقر رأيه على إرسال جيش كبير لغزوها بقيادة صَفِيِّهِ البطل المقدام طارق بن زياد .

# الفتح الإسلامى للأندلس

## ـ ١ ـ

أمر موسى بن نصير أحد جنوده الشجعان ، وهو « طارق بن زياد » أن يستعد للعمل من أجل فتح الأندلس .

ووقف موسى بن نصير يودع طارقاً وهو يتقدم موكب الغزو لفتح أسبانيا وتعريبها وحذره التهور فى الحرب محافظة على أرواح الجنود ، وأن يستشير أصحابه ويشركهم فى الأمر ولا يجتهد مسرعاً بل بالتؤدة ، « فإنها الحرب لا يصلحها إلا الرجل الحازم الْكَيِّسُ الذى يعرف الفرصة فيقتنصها » ثم وصى قواد الفرق بألّا يجبنوا عند اللقاء ، ولا يمثلوا عند القدرة ، وأن ينزهوا جهادهم عن عرض الدنيا ، ففى ذلك النصر كل النصر [١] .

ثم وقف طارق فى أواخر ربيع الآخر سنة ٩٢ هجرية الموافقة لسنة ٧١١ ميلادية يباشر عبور المسلمين إلى شاطىء أسبانيا الجنوبى وهم على سفن يليان ويستمع إليهم وهم يرددون فى فرحة بالغة خلف شاعرهم شعره الحماسى الذى مطلعه :

ركبنا سفيناً بالمجاز مُقَيَّرا [٢]
عسى أن يكون الله منا قد اشتَرى

---

(١) يروى بعض المؤرخين أن الأندلس غُزيت من البحر فى عهد عثمان عام ٢٧ هـ ( البيان المغرب فى أخبار المغرب جـ ٢ ص ٥ ــ طبع مكتبة صادر بيروت ) .

(٢) مُقَيَّرا : أى مطليًّا بالقار .

نفوساً وأموالاً وأهلاً بجنة
إذا ما اشتهينا الشيء فيها تَيَسَّرَا
ولسنا نُبالى كيف سالت نفوسنا
إذا نحن أدركنا الذى كان أجدرا

ولم يأت اليوم الخامس من شهر رجب إلا كانت آخر دفعة من الجنود بقيادة طارق بن زياد وصاحبه الكونت يليان تهبط أرض أسبانيا ، وقد وجد الجميع فى انتظارهم أنصار الملك غيطشة ، فكانوا لهم خير العون والسند .

وبدأ طارق فى العمل بسرعة ، فأمكنه أن يسيطر على أكثر مدن الساحل الجنوبى « من قرطاجنة حتى الجزيرة الخضراء » وبذلك أصبحت تلك المدن التى على مضيق جبل كالبى « جبل طارق من ذلك الحين » الذى يبلغ حوالى خمسة كيلو مترات ترفرف عليها الراية العربية الإسلامية .

تم تركها طارق فى حراسة رجال يليان ، وانطلق هو شمالا بغرب ، فملك « طريف » وظل زاحفاً دون أن يجد أمامه مايصده ، حتى وصل إلى نهير البرباط الذى يخترق بحيرة لاخندا ، وهناك عسكر فى واديه الفسيح بجوار بلدة صغيرة أطلق عليها العرب اسم « بكة » وسموا الوادى باسمها .

وجاءت العيون تخبر طارقاً بأن الإمبراطور لذريق قد غادر مدينة قرطبة فى طريقه إلى شذونة لملاقاته فى جيش بلغ عدده « مائة ألف جندى » .

وأمام هذا الخبر أسرع طارق بإرسال أحد قواده « طريف بن ملوك » إلى موسى بن نصير يطلب منه مددًا ، ويخبره بما أحرزه العرب من نصر ، وأنهم ملكوا مداخل الأندلس ، وأن لذريق فى الطريق إليه بما لا قِبَلَ له به إلّا أنْ يشاء الله .

وكان موسى بن نصير منذ عبور المسلمين بقيادة طارق بن زياد على سفن يليان قد ساءه ألّا يكون للعرب أسطول بحرى يغنيهم عن طلب المعونة من يليان وغيره ، لذلك جلب العمال والصُّنَّاع وشرع فى إنشاء عدة سفن ، حتى صار عنده منها عدة كبيرة ، فلما جاءه طريف برسالة طارق قام على الفور وبعث معه خمسة آلاف جندى أركبهم السفن العربية مرة واحدة .

ولم يمض طويل وقت حتى كان الجنود يأخذون مكانهم مع إخوانهم البُسلاء فى سهل البرباط ، وهم جميعاً أقوياء على المغانم حِرَاصٌ على اللقاء ، ومعهم يليان المستأمن إليهم فى رجاله وأهله عَلّه يدلهم على الثغرات ، ويتحسس لهم الأخبار ، وقد قرروا أن ينطلقوا إلى ماهاجروا إليه فى عزيمة وبأس : فإمَّا نصر تثبت به دعوة التوحيد فى أرجاء أسبانيا ، وإما استشهاد فى سبيل مجد الله ووحدانيته ينالون به عند ربهم المقام الأسمى ومنزلة الصِّدِّيقين الأبرار .

## — ٢ —

وكان الإمبراطور لذريق منذ أن علم بنزول العرب إلى الأندلس قد أوقف جميع عملياته الحربية ضد الثوار فى إقليم بنبولنة ، وغادر الشمال مسرعاً إلى مدينة « قرطبة » لتكوين جيش كبير يواجه به طارقاً وصحبه ، وأرسل الرسل لأولاد غيطشة يعرض عليهم الصلح ويؤمنهم على أنفسهم ، ويستنفرهم للقتال معه ، وأن يكون الجميع يدًا واحدة ضد المسلمين .

وقبل أولاد غيطشة العرض لتنفيذ مؤامرتهم ضده ، وساروا إليه فى رجالهم وأنصار أبيهم ، وبالقرب من قرية شقندة انضموا إلى جيش لذريق ، وهم جميعاً يضمرون كرهه ، وقال كبيرهم :

« إن هذا ابن الخبيثة قد غلب على سلطاننا وليس من أهله ، وإنما كان من أتباعنا ، فلسنا نعدم من سيرته خبالاً فى أمرنا ، وهؤلاء القوم « العرب » الطارقون « لبلادنا » لا حاجة لهم فى استيطان بلدنا ، وإنما مرادهم أن يملئوا أيديهم من الغنائم ، ثم يخرجوا عنا ، فلهم فلننهزم بابن الخبيثة إذا نحن لقينا القوم لعلهم يكفوننا أذاه ، فإذا انصرفوا عنا أقعدنا فى ملكنا من يستحقه » .

وانطلق لذريق بجيشه وهو لا يدرى ما بَيَّتَهُ له أولاد الملك غيطشة إلى أن وصل سهل البرباط الفسيح فى الجهة التى بقرب مدينة شذونة ، فرأى على بعد حوالى فرسخين معسكر المسلمين ، فوقف فى مكانة ينظم صفوفه ويعد جنوده للقتال .

وقف الغريمان وجهاً لوجه ، كل منهما ينتظر أن يكون خصمه البادئ بالهجوم ، ولما ظهر لطارق أن الساعة الفاصلة قد أوشكت أن تحل اتفق مع

قواد الفرق على حرق سفن الغزو لكى يفقد الجنود كل أمل فى العودة ثانيًا إلى المغرب ويقاتلوا قتال المستميت ، وفى ذلك ضمان للفوز (١) .

وسرعان ما اندلعت النار فى السفن وملأ دخانها أجواز الفضاء ، الأمر الذى حير لذريق وبعث فى التوِّ من يأتيه بنبأ ذلك ، وقد هرعت إليه الرسل يملؤهم الفزع قائلين : « أيها الملك ، لقد جاءك منهم من لا يريد إلا الموت أو إصابة ما تحت قدميك ، فقد أحرقوا سفنهم إياساً لأنفسهم من التعلق بها ، ووقفوا فى السهل مُوَطِّنِين أنفسهم على الثبات ، إذ ليس لهم فى أرضنا مكان مهرب » ، فخاف ثم تضاعف جزعه .

وفى الثامن والعشرين من شهر رمضان سنة ٩٢ هجرية الموافق ١٩ من يوليو سنة ٧١١ ميلادية وقف طارق يحث المسلمين على الصمود والثبات فى أثناء القتال ، وقال فيهم خطبته الخالدة التى بدأها بقوله :

« أيها الناس ، أين المفر ؟ البحر من ورائكم والعدو أمامكم ، وليس لكم والله إلا الصدق والصبر ، واعلموا أنكم فى هذه الجزيرة أضيع من الأيتام فى مأدبة اللئام ، وقد استقبلكم عدوكم بجيوشه وأسلحته ، وأقواته موفورة ، وأنتم لا وزر لكم إلا سيوفكم ، ولا أقوات لكم إلا ماتستخلصونه من أيدى عدوكم ، وإن امتدت بكم الأيام على افتقاركم ولم تنجزوا لكم أمرا ذهبت ريحكم ، وتعوضت القلوب من رعبها منكم الجرأة عليكم ، فادفعوا عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم بمناجزة هذه الطاغية ، فقد ألقت به إليكم مدينته الحصينة ، وأنّ انتهاز الفرصة فيه لممكن إنْ سمحتم لأنفسكم بالموت ، وأنى لم أحذركم أمرًا أنا عنه بنجوة ، ولا حملتكم على خطة أرخص متاعًا فيها النفوس إلا وأنا أبدأ بنفسى ، واعلموا أنكم إنْ صبرتم على الأشق قليلاً

(١) يشك البعض فى ذلك ، لأن السفن لم تكن ملك المسلمين ، ولكن ليس من المستبعد أن تكون هذه السفن من التى بناها موسى بن نصير كما سبق القول .

استمتعتم بالأرْفَهِ الألَذِّ طويلا ، فلا ترغبوا بأنفسكم عن نفسى ، فما حظكم فيه بأوفَى مِن حظى » .

ثم ختمها بقوله :

أيها الناس :

« ما فعلت من شيء فافعلوا مثله ، إنْ حملتُ فاحملوا ، وإنْ وقفتُ فَقِفُوا ، ثم كونوا كهيئة رجل واحد فى القتال » إلى أن قال :

« وهأنذا حاملٌ حتى أغشاه [1] فاحملوا بحملتى ، واكتفوا لهم من فتح هذه الجزيرة بقتله ، فإنهم بعده يخذلون » .

وبعد لحظة صمت رهيبة أصدر طارق للجنود إشارة الهجوم ، فانطلقوا إلى صفوف أعدائهم كالريح العاصفة مكبرين مُهلِّلين ، ودوى صدى تكبيرهم فى أنحاء الوادى ، كرعد السماء ، فملأ الخوف قلوب القوط الذين لم يتعودوا من قبل سماع مثل هذا النداء ، وكان القتال بالقرب من بلدة شريش ، وظل سجالاً بين الطرفين حوالى سبعة أيام ، وفجأة بدأ أولاد غيطشة عندما سنحت لهم الفرصة ينفذون ما عاهدوا أنفسهم عليه ، فانسحبوا من مواقعهم وانضموا إلى صفوف المسلمين ، الأمر الذى أوقع الفشل فى جيش القوط ، وجعل من نجا منهم يدير ظهره للمسلمين فرارًا ورعباً ، تاركاً خلفه ملء السهل والجبل آلافاً من جثث إخوانه ، وعتادًا لا يُعَدُّ ولا يُحْصَى .

أما لذريق فقد فر ناجياً بنفسه واتجه ناحية النهر ثم عبره سباحة إلى الضفة الأخرى ، تاركاً فرسه الأشهب المسرج بالذهب والياقوت ، وخفه المفضض على الشاطئ ليوهم المنتصرين بأنه غرق فيكفوا عن مطاردته ، ولكننا سنلتقى به بعد ذلك على رأس جيش كثيف عندما يقف وجهاً لوجه أمام بطلنا « موسى ابن نصير » فى معركة السواق ، وسنشاهد فيها نهايته المحتومة .

---

(١) أى لذريق .

ولما فرغ طارق من توزيع الغنائم على المحاربين عقب انتهاء المعركة انطلق نحو مدينة « استجه » فدخلها غازيًا ، ثم أشار عليه الكونت يليان بأن يقسم جيشه أربعة أقسام ، كل قسم يسير إلى جهة لإخضاعها ، فقبل طارق مشورة الحليف ، وسار القسم الأول بقيادة مغيث الرومى لاحتلال مدينة قرطبة ، وزحف القسمان الثانى والثالث بقيادة زيد بن قاصد إلى مدن الجنوب ، أما القسم الرابع فقد قاده طارق بنفسه واندفع به لغزو مدينتى طليطلة « العاصمة » والمائدة « قلعة هنارس » .

ولما كلل الله جبين هذه الجيوش الأربعة بأكاليل الظفر ، واستطاع مغيث الرومى فتح مدينة قرطبة وأسر حاكمها القوطى الذى احتفظ به لنفسه ليفتخر به عند الخليفة « الوليد بن عبد الملك » . واستطاع جيش الجنوب الاستيلاء على مالقة وغرناطة وما حواليهما من قرى ، وغنم طارق أموال العاصة وتيجان الأباطرة الذهبية المرصعة بالجواهر ، والمائدة الرائعة المصنوعة من الزبرجد الأخضر التى لها ثلاثمائة وخمس وسبعون رِجلاً ، والتى كان القساوسة يحملون عليها الأناجيل فى وقت العبادة ويضعونها على المذابح فى أيام الأعياد مباهاة بعظمتها .

كان الشتاء قد أقبل ، ففضل طارق بن زيادة أن يقيم فى طليطلة ويوقف عمليات الغزو إلى مابعد انتهاء فصل الشتاء ، وقام فى خلال ذلك بإعادة أملاك أولاد الملك غيطشة إليهم اعترافاً لهم بما قدموه للمسلمين من مساعدة

ولما عرف هؤلاء « أولا غيطشة » أن العرب لم يأتوا أسبانيا وهم يقصدون إصابة الغنائم ثم يرحلون بعدها إلى المغرب تمنوا من طارق ثم من موسى بن نصير المزيد من الضياع ، ولكن البطلين رفضا واكتفيا بإعادة « ثلاثة آلاف الضيعة » التى كان لذريق قد صادرها منهم من قبل . فامتثلوا للأمر وانزووا يندبون حلمهم الذى تبدد ، وهو استرجاع عرش أبيهم المفقود .

## ـ ٣ ـ

هرعت الرسل إلى موسى بن نصير بالقيروان تحمل له تفاصيل الموقف الحربى بالأندلس ومدى ماوصل إليه المسلمون من فتح لها ، فرأى أن طارقا قد اتجه فى زحفه شمالا بشرق ، وترك أغلب مدن الغرب دون غزوها ، وهى فى نظره أخطر الجهات على جيوش الفتح ، نظرًا لكثرة ماتجمع فيها من القوط الهاربين ، فعزم فورًا على العبور بجيشه لإخضاع هذه المدن خشية أن يقطع القوط خط الرجعة على المسلمين .

وبينما هو آخذ فى الاستعداد لذلك إذ جاءته رسالة من طارق يحثه فيها على العبور إليه لنجدته قائلاً له : « إن الأمم قد تداعت علينا من كل ناحية ، فالغوث الغوث » .

وقد بعث طارق لموسى هذه الاستغاثة بناء على الأخبار التى وصلت إليه من الكونت يليان من أن القوط بدءوا يكتلون أنفسهم للانقضاض عليه فى طليطلة ، لذلك ما إن وردت هذه الاستغاثة إلى موسى بن نصير حتى أسرع بتجهيز الجنود للإبحار بهم إلى الأندلس .

وفى أوائل شهر رجب من عام ٩٣ للهجرة غادر موسى مدينة القيروان على رأس جيش بلغ عدده ثمانية عشر ألفاً ، ونزل فى موضع بالأندلس سمى منذ ذلك الوقت بمرسى موسى ، وكان فى استقباله الكونت يليان الذى حثه على الزحف بسرعة ، نظراً لاشتداد المقاومة القوطية التى بدأت ترفع رأسها ، وتقض مضاجع الحاميات الإسلامية فى مختلف المدن التى فتحوها .

وما إن انتهى باقى الجنود من عبور البوغاز ووافوا زملاءهم فى مكانهم

بالجزيرة الخضراء حتى انطلق موسى بن نصير بالجميع نحو مدن شذونة وقرمونة وراعوق فاستولى عليها دون جهد .

ثم تركها فى حراسة أنصار يليان وبعض الفرق العربية ونفر من اليهود الذين تطوعوا لخدمة المسلمين منذ ابتداء الفتح لحاجة فى نفس يعقوب .

وزحف مسرعاً نحو مدينة أشبيلية ، وهى حصن القوط الحصين ، ومن أعظم مدن الأندلس ، وموقعها يساعد حُماتها على الوقوف أمام هجمات الزاحفين ، إذ أن نهر الوادى الكبير — وهى على ضفته اليمنى — يساعد فى مناعتها وتحصينها ، فاستعصت على موسى عدة أشهر ، فحاصرها حصارًا محكماً ، ولما أثَّرَ فى سكانها الجوع من شدة الحصار قام هؤلاء السكان فى الليل وغافلوا حراسها القوط وفتحوا الأبواب للغزاة ، فدخلها موسى دخول الظافرين ، وهرب القوط نحو مدينة باجة ، واعتصموا بداخلها ، ومنها راحوا يرقبون سير التيار .

ثم اتجه موسى بن نصير بعد ذلك إلى مدينة ماردة ، وكانت هذه المدينة من أمنع مدن أسبانيا ، وبها من الآثار والقصور والكنائس مايفوق الوصف ، وقد فتحها موسى صلحاً بعد حصار طويل ، وماكاد ينتهى منها حتى بعث ابنه « عبد العزيز » إلى أشبيلية لإخضاع الثائرين الذين انقضُّوا على الحامية الإسلامية واستولوا على المدينة . وقد نجح عبد العزيز فى كسر شوكة المتمردين وإعادة النفوذ العربى إلى المدينة « ثانيا » ، ثم مضى نحو المدن الغربية التى لم يتيسر للمسلمين فتحها مثل باجة وبابرة وشنترين فنجح فى الاستيلاء عليها جميعاً .

## — ٤ —

وبينما كان موسى بن نصير يحتفل بانتصارات ابنه « عبد العزيز » ويعد جنوده للجولة الثانية ، كان الإمبراطور لذريق قد استطاع بعد هروبه عقب هزيمته فى معركة رلكة أن يجمع فلول جيشه المنهزم ، ويجند أنصاره مرة أخرى ، ثم وقف بهم فى المنطقة التى بين وادى نهرى « آنة ، والتاجة » لمعاودة الكَرة ضد العرب .

ولما وصلت هذه الأخبار إلى موسى بن نصير قرر فورًا الزحف نحو بلدة « طليرة » واستدعاء طارق بن زياد من مدينة طليطلة للزحف معاً ومباغتة لذريق فى مكانه .

وترك موسى مدينة ماردة مسرعاً مخترقاً الطريق الرومانى القديم الذى يصل ماردة بمدينة سلمنقة بحذاء نُهير صغير سمى من ذلك الحين « نهر موسى » .

والتقى موسى بطارق فى مكان يسمى « المعرض » بين نهرى التاجة والتيتار ، وترجل طارق عن فرسه احتراماً لقائده الأعلى ، وتلقاه موسى بالترحاب ، ومدح شجاعته وحسن بلائه قائلا :

« ياطارق ، لن يجازيك الوليد بن عبد الملك — الخليفة — على بلائك بأكثر من أن يبيحك الأندلس فاستبحه هنيئاً مريئاً » .

ورد عليه طارق بقوله :

« أيها الأمير ، والله لا أرجع عن قصدى هذا ما لم أنته إلى البحر المحيط » .

وبعد أن تفقد موسى صفوف المسلمين وشكرهم على جهادهم وأشاد بانتصاراتهم المظفرة عسكر بهم فى ناحية « السواقى » استعدادًا للمعركة الفاصلة بينه وبين لذريق .

وفى هذه الأثناء كان لذريق يزحف برجاله نحو معسكر المسلمين ، وقد خُيل إليه أنه بضربة خاطفة سيقضى عليهم ، نظرًا لوقوفهم فى هذه المنطقة التى تبعد عشرات الكيلو مترات عن أى مركز لهم يستطيعون طلب النجدة منه .

والتحم الجيشان ، وظل القتال طيلة النهار ، وفجأة لمح « مروان بن موسى ابن نصير » الإمبراطور لذريق وهو يقاتل كالشيطان على جواده ، فاندفع ناحيته مُكبرًا ، واقتحم الصفوف غير مُبالٍ بما يتعرض له ، حتى أصبح منه قاب قوسين أو أدنى ، وفى عزمة المؤمن الواثق بنفسه ونصره رفع سيفه وهوى به على عاتقه ، ثم كرر ضربته فسقط بعدها مُجندلاً تحت الأقدام ، والفارس الشجاع يكبر تكبيرة النصر ، فسمعه كل من فى الميدان ، فأجاب كل عربى : « الله أكبر » عدونا قد مات .

وبموت لذريق اضطربت صفوفه ، وهرب من بقى من أنصاره ناجين بأنفسهم من سيفٍ غالبٍ ، خرج فى سبيل الله غازياً ، ولدين الوحدانية ناشرًا ، فكان من المنتصرين ، ثم راح هؤلاء الهاربون فى مخابئهم يذرفون الدمع السخين على مليكهم المقتول ، وباتوا يرثونه بالملاحم الشعرية الحزينة ، وكان أروعها تلك الملحمة التى ظلوا ينشدونها على لسان مليكهم السنين الطوال ومطلعها :

كنت الليلة الماضية ملكًا لأسبانيا ، وأمسيت الليلة ولا مُلْكَ لى

كنت الليلة الماضية أملك القصور ، وأنى الليلة مُشرَّدٌ لا أعرف أين أضطجع !

وكان يخدمنى ليلة أمس مائة من الولدان وهم رُكّعٌ سجود ، وأما الآن فإننى أنادى فأسمع رجع الصدى ، وما من أحد يلبى النداء !

فيا لضيعة الأمل ، ويالسوئها من ساعة ، ويالعنة هذا اليوم ، اليوم الذى ولدت فيه لأكون ملكاً لهذا البلد العظيم !

يا لبؤسى وشقائى ، فعمَّا قريب سأشهد الشمس تغيب ويهبط ليل ثقيل !

يا أيها الموت مَنْ عَلَّمَكَ التأنِّى والتمهل ؟ ما الذى تخشاه ؟ هيا اضرب ضربتك القاضية .

وحقا كانت الضربة قاضية ، فبمقتله دانت أسبانيا للعرب زهاء ثمانية قرون طوال .

والعجيب أن القوم قد خلعوا على مليكهم بعد مصرعه أثواب البطولة وهم الذين كانوا يتمنون زوال ملكه ، وراحوا يتخذون منه المثل الأعلى لأمانيهم وآمالهم ، بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك ، فقد اعتقدوا أنه ذهب حيًّا إلى مكان مجهول ، وأنه يقضى أيامه فى ندم وحسرة على ما جنت يداه من الآثام فى حق شعبه ، وقد أقبلت عليه الثعابين من جميع الأقطار ، ثم أخذت تبتلعه دون أن يقاومها ، فلما غسل ذنوبه وكفَّر عن آثامه فى جوفها خرج منها طاهرًا مطهرًا ، وأنه اليوم يعيش فى جزيرة السلام حتى يحين الوقت ويعود إليهم ثانيًا ليقودهم إلى النصر الذى فقده ، ولله فى خلقه شئون .

وجمع المسلمون أحمالهم وغنائمهم وغادروا أرض المعركة ، واتجه بهم موسى ابن نصير نحو مدينة طليطلة ، حيث بلغه أن نفرًا من القوط قد وثبوا عليها وانتزعوها من أيدى الحراس العرب إثر مغادرة طارق بن زياد لها لمقابلته .

واستطاع موسى أن يبطش بالقوط بطشة الجبَّارين ، ودخل طليطلة بين التكبير والتهليل ، ثم بدأ يجمع الغنائم ويطالب القواد بأسلابهم ، وهى التى يعتبرونها حقا لهم ، الأمر الذى كان له أسوأ الأثر فى نفوسهم ، ولاسيما فى نفس مغيث الرومى وزميله طارق بن زياد ، وذلك لمطالبة موسى لمغيث

بتسليمه حاكم قرطبة الذى يحتفظ به مغيث ليتباهى به عند الخليفة ، وأخذه من طارق مائدة طليطلة الرائعة التى سبق ذكرها .

ولما فرغ موسى من ذلك بعث « التابعى على بن رباح » و « مغيثاً الرومى » إلى الشام ليبلغا الخليفة « الوليد بن عبد الملك » ما أحرزه المسلمون من نصر ، وقد رأى مغيث فى هذه البعثة أعظم فرصة ليؤلب الخليفة على موسى ، ويدس له عنده نكاية فيه ، مما أثر على خاتمة موسى عند سفره إلى دمشق امتثالا لأمر الخليفة ، كما سيراه القارئ مفصلاً بعد .

## — ٥ —

ظل موسى بن نصير بقية الشتاء مقيماً فى طليطلة ، وفى أثناء إقامته قام بسك دنانير ذهبية وعملة برونزية ليدفع منها مرتبات الجنود ويتعامل بها المسلمون فى تلك البلاد ، إذ أنهم كانوا فى ذلك الوقت يتعاملون بالعملة الإفريقية التى سبق أن سكها موسى فى المغرب سنة ٩٠ هجرية ، وكان الدينار الذهبى الجديد مشابها للدينار الإفريقى ، وقد كتب على أحد وجهيه « محمد رسول الله » يحيط بها نص باللاتينية على هيئة دائرة ، ونقش على الوجه الآخر نجمة ذات ثمانى أذرع حولها كتابة باللاتينية ، ويلى ذلك تاريخ السك ، وهو سنة ٩٧ هجرية .

والعملة البرونزية كان تعريفها مكتوبًا عليها باللغة اللاتينية أيضاً .

ولما انقضى الشتاء ولاحت تباشير الصيف عزم موسى ، على الخروج للغزو واتفق مع طارق على الزحف معاً ، وانطلقا إلى وادى الحجارة فاستوليا عليه ، ومنه انحدرا شرقاً فأخضعا مدينة « سَرَقُسْطَةَ » التى على الضفة اليمنى من نهر ابرو . ثم غادرها إلى مدينتى ( الأردة ، وطركونة ) وأخيرًا دخلا مدينة ( برشلونة ) فاتحين ، وخطر لموسى بعد ذلك أن يعبر جبال البرنات وينطلق لغزو الأرض الكبيرة « فرنسا أو الغال » ، كما كانت تعرف من قبل ، مستأنفاً زحفه شرقاً إلى القسطنطينية ، ومنها ينطلق إلى الشام ليلحق بدار الخلافة بدمشق ، ولكن قواد الجيش نصحوه بعدم المخاطرة فى تلك الأرض المجهولة ، فأذعن لرأيهم ، وعاد إلى سرقسطة ليستعد للجولة الثانية .

وفى أثناء ذلك حضر مغيث الرومى قادماً من دمشق يحمل معه أمرًا من

الخليفة لموسى بن نصير يأمره فيه بوقف جميع عمليات الغزو فورًا ، ومغادرة الأندلس بصحبة طارق بن زياد وموافاته فى دمشق لمقابلته . فأدرك موسى ـــ الذى كانت له نظرة فى الرجال لاتخيب ـــ أن وراء هذه الدعوى ماوراءها ، نظرًا لما بدر منه فى حق مغيث من قبل ، فطلب من مغيث أن يمهله بعض الوقت لغزو الشمال على أن يعطيه نصف ما يغنم من الأموال والسبايا ، وأن يملكه قصر حاكم قرطبة ، فقبل مغيث العرض وسار معه لغزو الشمال .

واتفق موسى مع طارق بأن يزحف كل منهما على حدة ، فزحف طارق شمالاً جهة شاطىء نهر ابرو فأخضع ولاية أرغون ، ثم استولى على بعض المدن ، منها مدينة ليون .

أما موسى بن نصير فقاد جيشه ومعه مغيث الرومى واندفع شمالا بغربٍ وسار متبعاً نهير النالون حتى أدرك « كوفادونجا » ثم تركها إلى « خيخون » على شاطىء المحيط الأطلسى فملكها ، وأخيرا بلغ « حصن لك » فدمره عن آخره ، وأراد أن يأسر حاكمه « بلايو » ولكنه أفلت من الأسر واعتصم بصخرة « بلاى » التى على المحيط ، فبعث موسى فى أثره فرقة من الفرسان للقبض عليه .

وبعد هذا النصر المؤزر ألح مغيث على موسى بالعودة إلى دمشق تنفيذًا لأمر الخليفة ، فاستجاب له موسى وبدأ يستعد للرحيل .

## — ٦ —

وغادر موسى بن نصير « حصن لك » وانطلق إلى ليون لمقابلة طارق الذى قدم من « اشتورقة » ، ومن هناك سارا معاً ومعهما مغيث الرومى ، وفى الطريق عرج موسى إلى مدينة طليطلة لجمع الغنائم والأسرى من أمراء القوط وأشرافهم لاصطحابهم معه إلى دمشق .

ولما انتهى من ذلك استأنف الرحيل إلى أن وصل إلى مدينة قرطبة ، فرأى « موسى » قصر حاكم المدينة الذى كان قد وهبه لمغيث ، فأخِذَ بما شاهده من فخامته وروعته ، حتى أنه قرر أن ينقض قراره ويمنح مغيثاً بديلا عنه قصراً آخر أقل روعة منه ، الأمر الذى زاد كراهية مغيث له .

ومن قرطبة واصل موسى مسيره فوصل مدينة أشبيلية ، وقبل إبحاره منها استخلف على الأندلس ابنه « عبد العزيز بن موسى » ووصاه بمتابعة الفتح والغزو لما بقى من الأقاليم الأسبانية ، وخاصة التى فى الجنوب الشرق ، ثم اختار له مدينة أشبيلية عاصمة للبلاد ، لاتصالها بالبحر وقربها من المجاز .

وعبر موسى إلى المغرب فى شهر ذى القعدة سنة ٩٥ هجرية ( سبتمبر سنة ٧١٤ م ) ولما وصل إلى مدينة القيروان عين ابنه ( مروان ) حاكمًا عليها وعلى ما جاورها من الأقاليم ، ثم نصب ابنه « عبد الملك » على حكومة طنجة وما يليها من بلدان المغرب الأقصى .

وغادر موسى القيروان فى طريقه إلى دمشق مصطحباً معه أسراه وغنائمه التى لم يغنم مثلها فاتح من قبله ، سوى سعد بن أبى وقاص عند فتح المدائن بالعراق .

وظل موسى يسرع فى سيره إلى أن وصل إلى مصر فى السابع من شهر ديسمبر من العام نفسه ، وفى أثناء الطريق طلب موسى من مغيث أن يسلمه حاكم قرطبة الأسير الذى سبق ذكره ، فأبى مغيث أن يسلمه إياه وقال له : « لايؤديه للخليفة سواى » .

فما كان من موسى إلا أن هجم عليه وانتزع الأسير منه ، وهنا أشار على موسى بعض خاصته بأن يقتل الحاكم قائلين له : « إنْ سِرْتَ به حيًّا طالبك به مغيث عند الخليفة و( الحاكم ) لاينكر قوله ، ولكن اضرب عنقه » .

واستمع موسى للمشورة وقتل الحاكم ، الأمر الذى جعل الجفوة تزداد بين موسى ومغيث ، بل ودفعت الأخير بأن يضم إلى صفه طارق بن زياد ، واتفقا عند وصولهما إلى دمشق أن يسبقاه لمقابلة الخليفة ويشكواه عنده ويخبراه بما صنع بهما من خبر المائدة وقتله لحاكم قرطبة ، وما قد استولى عليه من أموال وجواهر « لم تصب الملوك مثلهما من بعد فتح فارس » .

وغادر موسى مصر منطلقاً إلى دمشق ، فما وصل فلسطين قيل إنه كان بها فى ذلك الوقت ولى عهد الخلافة « سليمان بن عبد الملك » فلما رأى سليمان ما جمع موسى من غنائم ليس لها نظير طلب من موسى أن يتمهل فى سيره إلى دمشق ، لأن الخليفة « الوليد » فى النزع الأخير ، وكان سليمان يبغى من ذلك أن يصل موسى بغنائمه إلى دمشق بعد موت « الوليد » فتئول الغنائم كلها إليه .

ولكن موسى بن نصير أدرك مايهدف إليه « سليمان » فلم يستمع له ، ولم ينفذ رغبته ، مما أثار حفيظة « سليمان » ضده ، وعزم على الانتقام منه عندما يعتلى الخلافة بعد وفاة أخيه .

وحث موسى الركب حتى وصل إلى دمشق عام ٩٦ هـ ، وطلب مقابلة

الخليفة لتسليمه الأخماس والغنائم ، وبالرغم مما سمعه الوليد من وشايات فى حق موسى فإنه تحامل على نفسه وهو مريض وجلس على « منبر المسجد » لاستقباله ، فبهت مما رأى من عظم الغنائم والجواهر التى لم ير مثلها قط ، واستعرض الأسرى الذين ألبسهم موسى أفخر ثيابهم المطرزة بالذهب والفضة ، فلقد كان موسى بطبعه ميالاً إلى المُباهاة بما يقع فى يده من الأسرى العظام ، والإعلان بكل الوسائل عن انتصاراته المظفرة .

ولما انتهت عمليات التسليم دعا « الوليد » إلى إقامة صلاة شكر ، ثم أوْمَأ إلى موسى بالتقرب إليه ورفع يده بإناء « العطور » فصب عليه ثلاث مرات وأجازه وفرض لولده ومواليه ، وأحسن جوائز القواد الذين اشتركوا مع موسى فى الفتح ، ولم يمض أربعون يوماً على هذا حتى مات الوليد بن عبد الملك ، وأُعلن فى الناس عن تولية « سليمان بن عبد الملك » خليفة مكانه ، وكان قلبه متغيرًا على موسى ، ذلك أن سليمان بن عبد الملك لما أحس باقتراب منية أخيه كتب إلى موسى يأمره بأن يتريث حتى يصل بعد وفاة الوليد فتَئول الذخائر والنفائس التى كان يحملها موسى إلى سليمان ، ولكن موسى لم يتريث ، بل سار سيره العادى حتى لقى الوليد . وكان طبيعيًّا ألّا ينتظر موسى خيرًا كثيرًا بعد وفاة الوليد ، وكان مصير موسى لا يتناسب مع أعماله ، إذ جرده سليمان من سلطته ، وصادر أمواله ، بل إن الإنسان ، لا يكاد يصدق ماترويه المصادر المختلفة عن تعذيب الخليفة سليمان بن عبد الملك لبطل فتح الأندلس . والراجح أن الخليفة سليمان أهمل موسى وتركه فى زوايا النسيان ، وإن كنا لا نستبعد أعمال القسوة والعنف ونكران الجزاء من خليفة مثل سليمان الذى قضى على القواد العظام أصحاب الفضل فى إنشاء الإمبراطورية العربية ، لا لشىء سوى إرضاء أحقاده الشخصية .

ولاشك أن موسى هو الذى وضع أساس ما بلغه المسلمون من حضارة

وقوة فى غربى البحر المتوسط ، هذا إلى ما كان للفتح الأندلسى من آثار بعيدة المدى ، وليس من شك فى أن موسى كان يريد مواصلة الفتح إذا عاد ، فكان عدم عودته للأندلس حرماناً لمسلمى الأندلس من هذه القوة الدافعة ، ومن ناحية أخرى وجد بقايا القوط الفرصة ليستريحوا بعد هذه الحروب وليستعدوا لصراعهم الطويل مع المسلمين من جديد . وتذكر المراجع أن موسى توفى سنة ٩٧ هـ أو ٩٩ هـ وهو فى طريقه إلى الحج فى رفقة سليمان ، وكان قد جاوز الثمانين من عمره .

أما طارق بن زيادة فقد انتهت حياته فى غموض ، ولا تذكر لنا الرواية الإسلامية أين ومتى توفى . ويقال إن مغيثاً الرومى وشى به هو الآخر وخَوَّف الخليفة منه ، وكان الخليفة سليمان بن عبد الملك يريد أن يوليه الأندلس ، ولكن عدل عن ذلك ، ولكن إهمال المؤرخين لطارق لم يحرمه نصيبه من الخلود ، فقد شاءت المقادير أن تحمل اسمه أول بقعة فى الأندلس وطئتها قدماه ، وهى جبل طارق ، كما سمى الزقاق مضيق جبل طارق ، وانتقلت هذه التسمية إلى اللغات الأوربية جميعاً بصيغتها العربية محرفة تحريفا بسيطاً ، وقد شاءت الظروف أن يكون جبل طارق من المواضع التى يذكرها الناس على مر العصور لأسباب مختلفة لم تكن تدخل فى حساب طارق بن زياد .

ولم تشر الرواية الإسلامية إلى مصير الكونت يليان الذى مهد لفتح الأندلس [١] . وتذكر بعض الروايات أنه عاد إلى سبتة وأقطع ما حولها من الأراضى ، وظل أميرًا على سبتة نظير خدماته ، ولكنه بقى نصرانيًّا هو وبنوه الأقربون ، أما ذريته بعد ذلك فقد دخلت الإسلام . أما أبناء غيطشة فقد

---

(١) انظر قصة الأدب فى الأندلس ــ خفاجى ــ مؤسسة المعارف بلبنان ــ جـ ١ ص ٦٤ ومابعدها .

أقطعوا ما كان لأبيهم ، كما عين أخ غيطشة حاكماً لطليطلة [1] .

وهكذا نرى كيف امتدت الإمبراطورية العربية امتدادًا عريضاً ، وكيف كان الخليفة الوليد بن عبد الملك الملهم والقائد الأعظم لهذه الفتوح الرائعة التى حملت معها العروبة والإسلام ، والتى خطت بأهل البلاد المفتوحة قروناً إلى الأمام ، والتى نتج عنها انتشار الحضارة العربية الإسلامية الفذة التى غزت أوربا فى عصر ظلامها ، ولسنا نبالغ إذا قلنا : إن عصر الوليد يمثل الأوج الذى بلغه مجد الأمويين وسلطان العرب .

(١) انظر : محمد عبد الله عنان ، دولة الإسلام فى الأندلس ص ٥٧ ــ ٥٨ ( القاهرة ١٩٤٣ م ) .

**الأبشيهى** : شهاب الدين أحمد .
« المستطرف فى كل فن مستظرف » .

**أبكاريوس الأرمنى** : « نهاية الأرب فى أخبار العرب » ( مرسيليا ١٨٥٢ م )

**ابن الأثير** : ( ٦٣٠ هـ ــ ١٢٣٨ م ) على بن أحمد بن أبى الكرم . « الكامل فى التاريخ » ( بولاق ١٢٧٤ م ) .
« أسد الغابة فى معرفة الصحابة » ( القاهرة ١٢٨٥ هـ )

**أحمد أمين** : « فجر الإسلام » ( القاهرة ١٩٢٨ م ) .
« ضحى الإسلام » ( القاهرة ١٩٣٣ ــ ١٩٣٦ م ) .
« عكاظ والمربد » ( بحث فى مجلة كلية الآداب ، مايو ١٩٣٣ م ) .
« الفتوة فى الإسلام » ( بحث فى مجلة كلية الآداب ، مايو ١٩٤١ م ) .
« الصعلكة والفتوة فى الإسلام » ــ سلسلة اقرأ رقم ١١١ .

**الأزرق** الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد .
« أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار »

( المطبعة الماجدية بمكة ١٣٥٢ هـ نشر الأستاذ رشدى الصالح ) .

**إسرائيل ولفنسون** : تاريخ اليهود فى بلاد العرب فى الجاهلية وصدر الإسلام ( القاهرة ١٩٢٧ م ) .

**أسعد داغر** : « حضارة العرب » ( القاهرة ١٩١٨ م ) .

**إسماعيل أحمد أدهم** : « علم الأنساب العربية » ( القاهرة ١٩٣٨ م ) .

**الاصطخرى** : أبو القاسم إبراهيم بن محمد الفارسى « مسالك الممالك » ( ليدن ١٣٧٣ هـ ) .

**الأصفهانى** : أبو الفرج على بن الحسين . « الأغانى » ( بولاق ١٣٨٥ هـ ) ، والجزء ٢١ طبع ليدن سنة ١٣٠٥ هـ والأجزاء التى نشرتها دار الكتب منذ سنة ١٩٢٧ م .

**الألوسى** : السيد محمود شكرى . « بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب » سنة ١٩٢٤ م .

**البلاذرى ( ٢٧٩ هـ = ٨٩٢ م )** : أحمد بن يحيى بن جابر . « فتوح البلدان » ( القاهرة ١٣١٨ م ) .

**البغدادى** : أبو الفوز محمد أمين . « سبائك الذهب فى معرفة قبائل العرب » ( بمباى ، ١٩٢٦ هـ )

**البغدادى** : عبد القادر بن عمر . « خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب » ( بولاق ، ١٢٩٩ هـ )

**البكـــــــــــرى :** عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن عمر .
« معجم ما استعجم » تحقيق الأستاذ مصطفى السقا . ( مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ) .

**البيرونى :** أبو الريحان محمد أحمد الخوارزمى .
« الآثار الباقية عن القرون الخالية » ( ليبسك ١٨٧٨ م ) .

**التبريـــــــــــزى :** أبو زكريا يحيى بن على محمد بن بسطام .
« شرح أشعار الحماسة » .
نشر الأستاذ فريتاج ، ١٨٢٨ م .

**الثعالبى النيسابورى :** أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل .
« غرر أخبار ملوك الفرس ومصيرهم »
( باريس ١٩٠٠ ) .

**الثعالبـــــــــــى :** أبو منصور عبد الملك بن محمد .
« لطائف المعارف » ( ليدن ١٨٦٧ ) نشر الأستاذ جونج .

**ابن الجوزى ( ٥٩٧ هـ ) :** أبو الفرج عبد الرحمٰن بن على بن محمد .
« سيرة عمر بن الخطاب » .

**الجهشيارى ( ٣٣٠ هـ ) :** أبو عبد الله محمد بن عبدوس
« كتاب الوزراء والكتاب » ( القاهرة ١٩٣٨ م ) .
« نشره الأستاذ مصطفى السقا وإبراهيم الأبيارى وعبد الحفيظ شلبى » .

**الجاحظ ( ٢٥٥ هـ ) :** أبو عثمان عمرو بن بحر .
« كتاب التاج فى أخلاق الملوك » .
حققه المرحوم الأستاذ أحمد زكى ( القاهرة ١٣٣٢ هـ = ١٩١٤ م ) .

**ابن حجر العسقلانى ( ٨٥٣ هـ ) :** شهاب الدين بن على .
« الإصابة فى تمييز الصحابة » ( القاهرة ١٩٢٣ م ) .

**حسن إبراهيم حسن :** « السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات فى عهد بنى أمية »
تأليف فان فلوتن ( مترجم إلى العربية ) .
« الدعوة إلى الإسلام » تأليف توماس أرنولد ( مترجم إلى العربية ١٩٤٧ ) .
« تاريخ الإسلام السياسى » الأجزاء ١ ، ٢ ، ٣ ( القاهرة ١٩٤٥ — ١٩٤٨ م ) .

**ابن عبد الحكم ( ٣٥٣ هـ ) :** أبو القاسم عبد الرحمٰن بن عبد الله .
« فتوح مصر والمغرب » .

**ابن أبى الحديد ( ٤٠٤ هـ ) :** الشريف محمد بن أبى أحمد الحسنى
« شرح نهج البلاغة » ، ( القاهرة ١٣٢٩ هـ ) .

**ابن خرداذبة :** أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله بن أحمد
« المسالك والممالك » ، ( ليدن ١٣٠٦ هـ ) .

**الخطيب البغدادى (٤٦٣ هـ ) :** الحافظ أبو بكر أحمد بن على
« تاريخ بغداد أو مدينة السلام » ( القاهرة ١٣٤٩ هـ — ١٩٣٦م ) .

**خفاجى (محمد عبد المنعم)** : «الحياة الأدبية فى عصر بنى أمية» القاهرة ١٩٥٤

« الإسلام والحضارة الإنسانية » القاهرة ١٩٦٠ .

**ابن خلدون (٨٠٨هـ)** : عبد الرحمٰن بن محمد بن محمد جابر :

« العبر وديوان المبتدأ والخبر » .

« المقدمة » ( بيروت ١٩٠٠ م ) .

**ابـــن خلكـــان** : شمس الدين أبو العباس أحمد بن أبى بكر

« شمس الأعيان وأنباء أبناء الزمان » .

( بولاق ١٢٨٣ هـ ) والمطبعة الميمنية بمصر ١٣١٠ هـ .

**دحـــــــلان** : أحمد زينى « السيرة النبوية والآثار المحمدية » ، ( على هامش السيرة الحلبية — القاهرة ١٣٢٠ هـ ) .

**ابـــن سعيـــد** : على بن موسى المغربى « كتاب المغرب فى حلى المغرب »

( ليدن ١٩١٨ — ١٩١٩ م ) .

**ابن سعد ( ٢٣٠ هـ )** : محمد .

« كتاب الطبقات الكبير » ( ليدن ١٣٢٢ هـ ) .

**السيوطى ( ٩١١ هـ )** : الحافظ جلال الدين عبد الرحمٰن .

« تاريخ الخلفاء » ، ( ١٣٥١ هـ ) .

**سيد أمير على** : « مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامى » . ترجمه من الإنجليزية الأستاذ رياض رأفت ( القاهرة ١٩٣٨ م ) .

**السمهودى** : أبو الحسن على بن عبد الله بن أحمد . « وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى » ( القاهرة ١٢١٦ هـ )

**السهيلى** : أبو القاسم عبد الرحمٰن بن عبد الله الخثعمى . « الروض الأنف » ( القاهرة ١٩١٤ م ) .

**ابن سيده** : أبو الحسن على بن إسماعيل ، « المخصص » ( القاهرة ١٣٢١ هـ ) .

**سيدة إسماعيل كاشف** : « مصر فى فجر الإسلام » ، ( القاهرة ١٩٤٧ ) . « مصر فى عصر الإخشيديين » ( القاهرة ١٩٥٠ ) .

**شرف ( عبد العزيز )** : « السيرة النبوية والإعلام الإسلامى » ، بالاشتراك مع د . خفاجى ، القاهرة ، مكتبة مصر .التفسير الإعلامى للأدب العربى ـــ دار الفكر العربى .

**الشهرستانى** : أبو الفتح محمد بن عبد الكريم . « الملل والنحل » ( لندن ١٨٤٦ م ) .

**الطبرى** : أبو جعفر محمد بن جرير . « تاريخ الرسل والملوك » ( طبع بريل بمدينة ليدن من سنة ١٨٧٩ إلى سنة ١٨٩٨ م ) .

**الطرطـــــــــوشى** : محمد بن الوليد الفهرى .
« سراج الملوك » ( القاهرة ١٢٩٩ هـ ) .

**طـــــه حســـين** : الفتنة الكبرى ــ عثمان » ( القاهرة ١٩٤٨م )
« على وبنوه » ( القاهرة ١٩٥٣ م ) .

**عبد الحميد العبادى** : « صور من التاريخ الإسلامى ، العصر العربى » ( الإسكندرية ١٩٤٨ م ) .
« أحابيش قريش ــ هل كانو عرباً أو حبشاً ؟ » بحث فى مجلة كلية الآداب ــ مايو ١٩٣٣ م .

**ابن عبـــد ربـــه** : أبو عمر أحمد بن محمد عبد ربه الأندلسى .
« العقد الفريد » .
نشره الأساتذة : أحمد أمين ، وأحمد الزين ، وإبراهيم الأبيارى ، ( القاهرة ١٩٤٠ م ) .
« بلوغ الأرب فى مآثر العرب » ( مطبعة الصفا فى لبنان ١٣١٩ هـ ) .

**على إبـراهيم حسن** : « النظم الإسلامية » ( القاهرة ١٩٣٩ م ) .
« نساء لهن فى التاريخ الإسلامى نصيب » ، ( القاهرة ١٩٥٠ م ) .
« مصر فى العصور الوسطى » ( القاهرة ١٩٥١ م ) .

**أبـــــو الفـــــداء** : إسماعيل بن عماد الدين ، صاحب حماة .
« المختصر فى أخبار البشر » ( القسطنطينية ١٢٨٦ هـ ــ والقاهرة ١٣١٥ هـ ) .

**ابن قتيبة الدينورى** : أبو محمد عبد الله مسلم .
« المعارف » ( القاهرة ١٩٣٤ م ) .
« الميسر والقداح » ( القاهرة ١٩٤٢ م ) .

**القلقشندى** : أبو العباس أحمد .
« صبح الأعشى فى صناعة الإنشا » ( القاهرة ١٩١٣ ــ ١٩١٩ م ) .

**الكاشانى** : الحنفى .
« بدائع الصنائع فى ترتيب الشرائع »
( القاهرة ١٣٢٧ هـ ) .

**الكندى ( ٣٥٠ هـ )** : أبو عمر محمد بن يوسف .
« كتاب ولاة مصر » .
نشره روفن جست باسم « كتاب الولاة وكتاب القضاة » لندن ١٩١٧ .

**الماوردى ( ٤٥٠ هـ = ١٠٥٧ م )** : أبو الحسن على بن محمد بن حبيب المصرى .
« الأحكام السلطانية » ( القاهرة ١٢٩٨ هـ ــ ولندن ١٩٠١ م ) .

**متز** : آدم .
« الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى » .
ترجمة الدكتور محمد عبد الهادى أبو ريدة .

**المسعودى ( ٣٤٦ هـ )** : أبو الحسن على بن الحسين بن على .
« مروج الذهب ومعادن الجوهر » ( القاهرة ١٠٢٣ هـ )

**أبو المحاسن ( ٨٧٤هـ ) :** جمال الدين يوسف بن تغرى بردى .
« النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة »
( القاهرة ١٩٣٠ ــ ١٩٤٨ ) .

**المقرى ( ١٠٤١ هـ ) :** شهاب الدين أحمد بن محمد .
« نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب » .
( بولاق ١٢٧٩ هـ ــ ١٨٦٢ م ) .

**ابن مسكويه ( ٤٣١ هـ ) :** « تجارب الأمم وتعاقب الهمم » عنى بتصحيحه المذرور . ( القاهرة ١٢٣٢ هـ ــ ١٩١٤ م ) .

**المبرد :** أبو العباس محمد .
« الكامل فى الأدب » ، ( القاهرة ١٢٢٤ هـ ) .

**محمد جمال الدين سرور :** « قيام الدولة العربية الإسلامية فى حياة محمد ﷺ » ( القاهرة ١٠٥٢ هـ ) .

**محمد الخضرى :** « تاريخ الأمم الإسلامية » .

**محمد كرد على :** « الإسلام والحضارة العربية » ( القاهرة ١٩٣٤ ــ ١٩٣٦ م ) .

**المرزوقى :** أبو على الأصفهانى .
« الأزمنة والأمنة » ( طبع مجلس دائرة المعارف بالهند ١٣٣٢ هـ ) .

**المقريزى :** تقى الدين أبو محمد أحمد بن على .
« النزاع والتخاصم فيما بين بنى أمية وبنى هاشم » ، ( ليدن ١٨٨٨ م ) .

« شذور العقود فى ذكر النقود » ( المطبعة الحيدرية فى النجف ١٣٥٦ هـ ) .

**ابن منظور** : أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم . « لسان العرب » ( بولاق ١٣٠٢ — ١٣٠٧ هـ ) .

**ابن النديم ( ٣٨٣ = ٩٩٣ م )** : محمد بن إسحاق . « الفهرست » ( ليبسك ١٨٧١ م ) .

**النووى ( ٦٧٦هـ = ١٢٧٧م )** : أبو زكريا محيى الدين بن شرف . « تهذيب الأسماء واللغات » ( القاهرة ) .

**ابن هشام** : عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميرى . « سيرة رسول الله » ( طبع جوتنجن ١٧٦٢ م ) .

**الهمدانى** : أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب . « الإكليل » نشره الأب أنستاس مارش الكرملى ( بغداد ١٩٣١ )

**١٠٥٦ م )** :

**أبو هلال الصابى ( ٤٤٨ هـ )** « كتاب تحفة الأمراء فى تاريخ الوزراء » ( طبعة هـ . ف . امدروز ) .

**الواقدى ( ٢٠٧ هـ )** : أبو عبد الله محمد بن عمر . « فتوح الشام » ( القاهرة ١٣٠٢ هـ ) .

**وستنفلد** : فردناند . « تواريخ مكة المشرفة » ( مدينة غتنفة ، ١٢٨٥ هـ ) .

**وهب بن منبه** :
« تاريخ ملوك حمير » .

**لويس شيخو** : « النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية » ( بيروت ١٩١٢ م ) .

**اليعقوبى** : أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر بن وهب المعروف بابن واضح .
« تاريخ اليعقوبى » ( النجف ١٣٥٧ هـ ) .

**يوسف رزق الله غنيمة** : « الحيرة ــ المدينة والمملكة العربية » ( بغداد ١٩٣٦م ) .
« نزهة المشتاق فى تاريخ يهود العراق » ( بغداد ١٩٢٤ م ) .

**أبو يوسف ( ١٩٢هـ = ٨٠٧م )** : يعقوب بن إبراهيم .
« كتاب الخراج » ( بولاق ١٣٠٢ هـ ، والمطبعة السامية بمصر ١٣٤٦ هـ ) .

# مصـــادر مخطوطـــة


**ابن . الضياء الملكى** : أبو التقا محمد بهاء الدين بن الضياء الملكى العمرى .
« تاريخ مكة المشرفة » .
( مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٥٧٠ تاريخ ) .

**العجيمـــــــــــى** : حسن بن على .
« إهداء اللطائف من أخبار الطائف »
( مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٨٧ تاريخ ) .

**ابـــــــــن عراق** : على بن محمد .
« نشر اللطائف فى قطر الطائـف » ،
« مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٢٣٣ تاريخ ) .